أديب معوض

الأكراد

في لبنان و سوريا

تقديم: فلك الدين كاكه يي



الأكراد في لبنان و سوريا

أديب معوض

الأكراد في لبنان و سوريا

تقديم

فلك الدين كاكەيى



دار آراس للطباعة والنشر

اربيل - اقليم الكردستان العراق

دار اراس للطباعة والنشر
شارع جولان - اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الالكتروني aras@araspress.com
الموقع على الانترنيت www.araspublishers.com
الهاتف: 35 49 224 66 (0) 00964
تأسست دار آراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

أديب معوض
الأكراد في سوريا ولبنان - تأريخ
تقديم: فلك الدين كاكەیی
منشورات آراس رقم: ١٠٠١
الطبعة الثانية ٢٠١٠
كمية الطبع: ١٠٠٠
مطبعة آراس - اربيل
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٥٢٣ - ٢٠١٠
الاخراج الداخلي: كارزان عبدالحميد
التنضيد: رضا واحد
الغلاف: مريم متقيان
التصحيح: أوميد احمد البناء . حواس محمود

لـهـذا الـكـتـاب قـصـة... فقد سلّمني الصديق د. محمد صالح جمعة دكتوراه في الاقتصاد من المانيا) نسخة قديمة نادرة من كتاب (الأكراد في لبنان و سوريا)

لمؤلفه المفكر اللبناني أديب معوض الذي أصدره في لبنان سنة ١٩٤٥م، يقول عنه المؤلف بأنه بحث اجتماعي نشر تباعاً في مجلة «النشرة» الأمريكية، وقد طبعته المطبعة الأمريكية – بيروت (لبنان) نفس السنة (١٩٤٥).

طلب مني الصديق د.محمد اعادة طبع هذا الكتاب لكونه وثيقة علمية تاريخية. فالمؤلف كان دكتوراً في الفلسفة و الاجتماع و شخصية ديمقراطية بفكر حر مستنير، كما تعبر عنه صفحات الكتاب، وكان عضواً بارزاً في الحزب القومي الإجتماعي السوري الذي أسسه أنطون سعادة عام ١٩٣٢. كان الأخير من طلبة الجامعة الأمريكية في بيروت، وقد أسس الحزب المذكور بعد سنوات من النشاط الثقافي والسياسي، أسسه في البداية كتنظيم سرّي طلابي، إلاّ أنه في سنة ١٩٤٥ أنتشر خارج المجموعة الطلابية إلى عدد من أحياء بيروت وجبل لبنان ودمشق، وتحوّل الى حزب سياسي مازال موجوداً في لبنان. وكان لمثقفي الحزب وأنصاره دور ثقافي واعلامي بارز في نشر الثقافة الديمقراطية والدفاع عن الحريات وحقوق الأقليات والتعددية، وقدّموا تضحيات على هذا الدرب.

أما كيف وقعت هذه النسخة من الكتاب بيد الاستاذ د. محمد (وهو أصلاً من مواليد مدينة القامشلي في الجزيرة – سوريا)، فقد ذكر لي بنفسه أنه أستلم في

نيسان ٢٠٠٩، هذه النسخة من الأستاذ أنيس ميديوان القاطن في القامشلي، وهو في الأصل من لواء الأسكندرونة، أنتقل الى القامشلي في حينه بعدما حلَّ بهذا اللواء ما حلَّ. وذكر د. محمد جمعة أيضاً ان والد انيس كان مدير أول مدرسة إبتدائية في القامشلي (في بداية الأربعينيات كما يبدو)، وكان عضواً قيادياً في الحزب القومي الإجتماعي السوري، وصديقاً للشعب الكردي، متضامناً مع قضيته، وهو الذي أحتفظ بنسخة من الكتاب المذكور في مكتبته المنزلية.

وتحدث د. جمعة أيضاً عن حرص الفقيد ميديوان والد أنيس على تعليم ومستقبل الطلبة الكرد في سوريا، فتطرق الى حادثة ذات دلالة مهمة اذ ان مؤسسات وزارة التربية في سوريا سنة ١٩٥٣ رفضت قبول ١٦ طالباً كردياً في القامشلي لمواصلة الدراسة الاعدادية (كان الأستاذ د. محمد صالح جمعة من بينهم)، فراجعوا والد أنيس الذي حاول لدى السلطات السورية لقبولهم فلم ينجح، عندها أقترح عليهم الإلتحاق بالمدرسة السريانية في القامشلي، كان حنا موري مديراً لها، ففعلوا.

وقد أهتمت المدرسة السريانية إهتماماً جيداً بتعليم هؤلاء الطلبة الكرد، الذين تقدموا في الدراسة وتخرجوا مهندسين وأطباء ودكاترة ومختصين في مختلف الحقول.

وقال د. جمعة أيضاً أنَّ والد أنيس كان صديقاً للمثقف الكبير يوسف ملك (لبنان) الذي كان بدوره صديقاً للأميرة الكردية روشن بدرخان، وللدكتور ثريا بدرخان، وساعد على إصدار جريدة آزادي الكردية في لبنان. وهكذا كان هؤلاء المثقفين المسيحيين الكبار: يوسف ملك وأديب معوض وميديوان وغيرهم قد خدموا القضية الكردية العادلة أنطلاقاً من معرفتهم بحقائق الجغرافية والتاريخ والتنوع الثقافي ومن روحهم الديمقراطية والتزامهم بالحرية و حقوق الآخرين.

ويضيف د. جمعة ان أديب معوض، المفكر العربي المسيحي اللبناني، كان على صلة ومعرفة بحزب خويبون (الأستقلال) الكردي الذي ظهر نشاطه في لبنان سنة ١٩٢٥، وكان قد تأسس في كردستان – تركيا.

من هنا يكتسب هذا الكتاب أهمية علمية تأريخية لكون المؤلف مطلعا على القضية الكردية منذ بدايتها في القرن العشرين.

الأهمية السياسية للكتاب:

مما يستحق الإهتمام حقاً هو أنَ د. أديب معوض، المفكر العربي اللبناني، يعرض بموضوعية علمية واقع الكرد وكردستان ويدافع بحرارة عن عدالة هذه القضية وذلك في سنة ١٩٤٥، في حين ان الفكر العربي السائد آنذاك كان ينكر صراحة أي أعتراف بوجود الأقليات المذهبية أو القومية في البلدان العربية. تلك كانت سياسة «عصبة العمل القومي» التي تأسست سنة ١٩٣٣ إثر أجتماع سرّي لمندوبين من مختلف البلدان العربية عقدوا مؤتمرهم في (قرنايل – لبنان) وأصدروا يوم ٢٩آب ١٩٣٣ البيان الأول الذي أعتبر «الأقليات ذريعة المستعمرين» وقال: «حيث انه لافرق في الحقوق والواجبات بين مواطن ومواطن اياً كان مذهبه أو منْبَته أو لغته فاننا ننكر ولا نعترف بوجود الأقليات المذهبية أو العنصرية أو اللغوية، وليس لسكان البلاد العربية غير جنسية واحدة هي الجنسية العربية ولغة رسمية واحدة هي اللغة العربية. وكل إخلال بهذه الوحدة جريمة وطنية تجب محاربتها».

هذه العصبة، أي عصبة العمل القومي (العربي)كانت علمانية كما كانت حركة مصطفى كمال أتاتورك، وكأنها تقليد للكمالية التركية...

فالعصبة «تنكر» و «لاتعترف» بالتعددية الدينية والقومية والثقافية، وهي الثقافة السياسية التي ظلت سائدة في الأقطار العربية وعانت الأقليات (أو التكوينات غير العربية و غير الإسلامية) ما عانت من هذا الرفض الشديد للقبول بالأخر.

أختراق حاجز الإنكار ورفض القبول بالآخر:

إلاَ أن أصواتاً مهمة، رغم قلة عددها، أخترقت دوماً حاجز هذا الرفض اللامعقول وعدم القبول بالآخرين.

ففي الفترة منذ بداية الأربعينيات بدأت الثقافة الديمقراطية، ثقافة القبول

بالآخر، تنتشر رغم السدود المنيعة للإستبداد وسلب حقوق الآخرين. ففي هذه الفترة التي أصدر د. أديب معوض كتابه الجريء، كان عبدالرحمن عزام باشا قد أصدر (١٩٤٣) بيانه التضامني المعروف مع كفاح الشعب الكردي في العراق، ووقف الى جانبه أيضاً مثقفون وسياسيون كبار مثل كامل الجادرجي ومحمد مهدي الجواهري وقادة الحزب الشيوعي العراقي، وشاكر خصباك وعزيز شريف الذي أصدر سنة ١٩٥٠ كتابه الملهم عن عدالة القضية الكردية وحلها على أساس الفدرالية في العراق وفي نفس الفترة من بداية الخمسينيات برز الزعيم العربي المصري جمال عبدالناصر صديقاً متضامناً مع الشعب الكردي حيث أستمر في موقفه التضامني القومي حتى وفاته أوائل السبعينيات.

كانت المبادرات الديمقراطية للمثقفين والسياسيين العرب تلقى الجحود والرفض وحتى الإستنكار من أوساط عربية متزمتة ومتعصبة على المستوى الرسمي أو الشعبي.

ثم ان قادة مثقفين كبار ظهروا فيما بعد، وهم يبَددون ظلام الفكر السياسي الرافض لقبول الآخر، ابرزهم معمر القذافي الذي أعلن منذ سنة ١٩٧٩ حتى كتابة هذه الكلمة، عن تضامنه الكامل مع القضية الكردية وحقوق الأمة الكردية المضطهدة.

أمتحان ١٩٦٣ ومابعده:

أسميه إمتحاناً لضمائر المثقفين والسياسيين العرب. ففي حزيران ١٩٦٣ شنّت القوات والسلطات العراقية بالتنسيق والتعاون مع دول حلف السنتو (المركزي) آنذاك بما فيها أيران وتركيا، هجوماً عسكرياً قاسياً على الشعب الكردي في العراق فوقعت مجازر وإبادة جماعية وإنتهاكات فظة بحق الآلاف من المدنيين الكرد العزل، فتحركت أصوات واقلام عربية حرة، متضامنة مع الكرد ومدافعة عن عدالة قضيتهم. فرفع صحفيون وكتاب وروائيون وأحزاب وجماعات سياسية وإجتماعية من الجزائر والمغرب ومصر ولبنان والسودان وغيرها في حزيران سنة ١٩٦٣ أصوات الإحتجاج على إنتهاكات النظام العراقي آنذاك. وعلى سبيل المثال نذكر

كتابات وكلمات: النائب محسن سليم من البرلمان اللبناني كما ذكر في جريدة النداء ١٥ حزيران ١٩٦٣، ميشال الحلوة في جريدة لسان الحال – لبنان أب ١٩٦٣ حيث كتب سلسلة مقالات، ثم جبران حايك في جريدة لسان الحال في ٢٦ أيلول ١٩٦٣)، ثم في لسان الحال ١٣/٢/١٩٦٣، الدكتور أمين الحافظ رئيس لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان اللبناني في جريدة الجريدة ١٢/٢/١٩٦٤، ميشال الحلوة، مرة أخرى، في جريدة لسان الحال ٣١ تشرين أول ١٩٦٤، والدكتور صلاح المنجد في جريدة الحياة ١٩٦٤١١٨ بمقالة عنوانها: عظمة الأكراد، ثم في الحياة ١٩٦٣١١٢٨.

وفي هذه الفترة، لاسيما منذ ١٩٦٥ ظهرت قصائد لشعراء فلسطينيين (محمود درويش وسميح القاسم) بلهجة تضامنية مع الشعب الكردي.

وفي سنوات وقوع جرائم الأنفال والقصف الكيمياوي لكردستان ١٩٨٧–١٩٨٩، ظهرت قوائم طويلة بأسماء كتّاب وفنانين ومثقفين مبدعين من مصر والخليج والسودان ولبنان والجزائر وغيرها وهم يدينون هذه الجرائم ويتضامنون مع ضحاياها ومع القضية الكردية التي راحوا قرابين لها.

ظهرت فيما بعد أصوات حرةَ قوية من العراق: د. كاظم حبيب، زهير كاظم عبود، د. منذر الفضل، عدنان حسين، عبدالمنعم الأعسم، فالح عبدالجبار، عاصم الخفاجي، هاتف الأعرجي، والأنباري وغيرهم من الصحفيين والكتاب فضلاً عن الفنانين الكبار.

وأنضمت الى الحملة التضامنية أصوات كتاب و مثقفين عرب من لبنان وفلسطين والخليج والعراق وغيره، مع بداية التسعينيات، نذكر منهم: عبدالرحمن الراشد مجلة (المجلة) ٢٣/٤/١٩٩١، حازم صاغية، الحياة ١٧ آذار ١٩٩١، منح الصلح، الحياة ٢٦ آذار ١٩٩٣، حسن الجلبي، الحياة ٢٤ آذار ١٩٩٣ كتب عن حق الكرد في الأتحاد الفدرالي، محمود عزمي، الحياة ٢٣ آذار ١٩٩٣، شفيق الحوت، الحياة ٢٢ آذار ١٩٩٣.

فكلما ترسخت التجربة الكردستانية الديمقراطية لما بعد انتفاضة ١٩٩١ في

كردستان العراق، أتسعت دائرة التضامن العربي مع القضية الكوردية، وكان ذلك موازياً لمدى إتساع المعرفة بأبعاد هذه القضية، فأنعقدت في أربيل مؤتمرات دولية حول جرائم الأنفال بحضور ساسة ومثقفين معروفين أبرزهم السياسي و المثقف الكبير صادق المهدي من السودان. وأنعقد في أربيل سنة ٢٠٠٧ مؤتمر إتحاد البرلمانيين العرب، وكان فرصة أطلع فيها عشرات البرلمانيين العرب مباشرة على وضع إقليم كردستان؟

ونذكر أيضاً ان مئوية الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري سنة ١٩٩٩ قد تحول الى مناسبة مهمة في أربيل حضرها عشرات الكتاب والشعراء العرب من مصر، الجزائر، تونس، المغرب، لبنان، الأردن، الكويت، البحرين، الإمارات العربية المتحدة، السودان فضلاً عن المثقفين العراقيين المعارضين.

أخيراً شهد عام ٢٠٠٩ زيارة تأريخية للرئيس الفلسطيني محمود عباس (أول رئيس عربي يزور اربيل)، وحضر فيما بعد القيادي في منظمة التحرير الفلسطينية تيسير خالد مناسبة ثقافية في إقليم كردستان.

لاتحضرني جميع الأسماء المتضامنة معنا، فأعتذر عن أي سهو غير مقصود أزاء ذكر أي من الزملاء والسياسيين والشخصيات العربية التقدمية التي عبرت بهذا الأسلوب أو ذاك عن التضامن مع الشعب الكردي.

فان كتاب أديب معوض، الذي نحن بصدده، دفعنا إلى هذا الأستعراض السريع لتطور الفكر السياسي التقدمي العربي ازاء القضية الكردية، وهو مايجب التوقف عنده بطريقة اكثر عمقاً وتأملاً وأتساعاً، ورصد ظاهرة الإعتراف العربي بالكيان الإقليمي في كردستان العراق، في حين أن بعض الأوساط العربية في العراق اليوم أخذت تعاكس مجرى التقدم فتتراجع عن مواقفها التضامنية السابقة، وتحاول تحجيم صلاحيات و حقوق إقليم كردستان.

المثقفون العرب أمام أمتحان آخر:

ستشهد الاشهر والاعوام المقبلة تطوراً كبيراً في الحقوق الكردية على ساحة أخرى

هي ساحة كردستان تركيا، حيث من المؤمل أن تتقدم فيها عملية الحل السياسي السلمي التي بدأتها الدولة التركية منذ عام. فهذا التطور الذي ربما لم يتوقعه الكثيرون في الأوساط العربية الشعبية والرسمية، سينعكس مباشرة على تطور الوضع الكردستاني في العراق كذلك في سوريا وبقية بلدان الشرق الأوسط.وقد تنقلب معادلات رئيسية مرتبطة بالقضية الكردية في عموم الشرق الأوسط، لاسيما ان تطور الحل الديمقراطي للقضية في أي بلد يؤدي إلى إتساع وتعميق الثقافة الديمقراطية في سائر البلدان أيضاً.

فالقضية الكردية هي، أساساً، قضية ديمقراطية تحررية، قضية القبول بالآخر، وتقبل التعددية والتنوع الإثني والمذهبي والثقافي في عموم المنطقة التي يتكون كل بلد فيها من عدة أعراق وأديان وثقافات ولغات. فالقضية أصبحت معبراً للديمقراطية وجسراً إلى الديمقراطية والحرية.

الدستور العراقي:

تضمن الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٦ حقوقاً أساسية للشعب الكوردي في العراق، وذلك لأول مرة، عن طريق وثيقة دستورية، إلاّ إن قطاعات واسعة من الشعب العربي داخل العراق وخارجه لازالت ترفض القبول بما تضمنه هذا الدستور من إقرار للحقوق الكردية الطبيعية.

د. أديب معوض و د. بيشكجي:

كان د. أديب معوض عالماً كبيراً في الإجتماع، وتوصل الى هذه الإستنتاجات الواقعية من خلال علم الإجتماع. وهو، في العالم العربي، أنجز سنة ١٩٤٥ ما أقدم عليه العالم الإجتماعي التركي المعروف د. بيشكجي الذي توصل من خلال بحوثه الإجتماعية في القضية الكردية الى التأييد الكامل لحق الأمة الكردية في التحرر والإستقلال.

إلاّ ان العالمين الكبيرين قد فعلا في الجوهر ماكان على طائفة كبيرة من العلماء في الأمتين العربية والتركية أن يفعلاه ازاء القضية الكردية.

قراءة سريعة في محتويات الكتاب:

تتضمن الملاحظات والهوامش التي كتبتها والتي ستنشر في ختام الكتاب مايمكن وصفه بقراءة سريعة وعرض لأهم محتويات كتاب (الأكراد في لبنان وسوريا).

وتستوقفني ملاحظة مهمة وهي ان د. أديب معوض يؤكد في عدة مجالات على ان الكرد هم سكان أصليون في مناطقهم المعروفة بأكتظاظها السكاني، وانهم ينحدرون من عرق انساني أصيل ومتمسكون بإنتمائهم الى الأرض والقومية والثقافة الحضارية في القدم.

رسالة المؤلف:

ويكاد د. أديب معوض يلخص رسالته أو نداءاته الى الشعب العربي في الفقرة الأخيرة تحت عنوان (فذلكة)، فيؤكد على مايلي:

١- الإهتمام بوضع الكرد القومي في كافة مناطقهم، فيقول «... ونحن في هذا البحث الإجتماعي، على ابواب الأوضاع السياسية التي تؤلف من علم الأجتماع جزءاً منها لايتجزأ - قد نكون، اذا أهملنا كل الإهمال وضع الأكراد القومي، جد مفتئتين على حقوق العلم وواجبات العلماء، عندما يتعمدون مثل هذا الأهمال متجاهلين».

٢- التأكيد على ان الأمة الكردية من أعرق أمم الأرض، فيتساءل قائلاً: «فهل يكون على الكاتب الإجتماعي من حرج، اذا أشار في ختام بحث من هذا النوع، الى ان الأمة الكردية التي تعتبر في حق من أعرق أمم الأرض، والتي تُعد، كما رأينا، نحواً من تسعة ملايين نفس (١٩٤٥) - أو ما يعادل في مساحة من الأرض لاتقل عن الخمسمائة الف كيلومتر مربع، مجموع سكان الجزيرة بما فيها الهلال الخصيب، هل كان على هذا الكاتب من حرج اذا أسف على الوضع السياسي الذي فيه يتقلب الأكراد اليوم على مضض، موزعين كالأسلاب المنهوبة بين عشائر البدو في الصحراء، على من جاورهم من الدول؟».

٣- يحتج المؤلف، ويدعو الى إستنكار تقسيم كردستان والى إزالة هذا الإجحاف والغبن بحق الأكراد، فيكتب: «حقاً ان لفي هذا التوزيع الجائر مايستفز في المشاهدين المحايدين، ان كانت فيهم ذرة من الروح الديمقراطية الحقة، روح السخط والامتعاض الشديدة، اذا لم تستنزف من مآقيهم عبرات ساخنات لابد لها، والعالم اليوم على عتبة مؤتمر السلام لما بعد أنتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥)، من ان تنفجر أمثالها - اقله عند الأكراد الواعين من عصر الحريات المشروعة هذا - حمماً تنقذف من أعالي كردستان، حيث رست سفينة نوح رمز الحياة والبقاء في وسط الملمات، حتى يتم بالسلاح لهذا الشعب السليم القوي، مالم يتم له بالرضى عن طريق المفاوضات وبأسم الحق والعدل الأجتماعيين.».

٤- المؤلف يسبق الزمن فيحذر منذ سنة ١٩٤٥ من ان السلام في الشرق الأدنى (الأوسط) مرهون بحل القضية الكردية والإعتراف للأكراد بإقامة الدولة. فيقول: «ان هناك في هذا المثلث الحربي الكردي بين تركيا وأيران والعراق وسوريا، مايهدد سلامة الشرق الأدنى، اذا لم ينسخ من الوجود ماجاء في معاهدة لوزان من المداورات والبنود التي نُسِخت في دورها منطوق معاهدة سيفر، حيث أعترف للأكراد بالدولة الكردية».

٥- ويخاطب المؤلف العرب وجيرانهم بأن الأيام ليست عام ١٩١٨ بل هي تغيرت، وعليهم الإعتراف الكامل بحق الكرد وضمان السلامة لهم وكسب صداقة الملايين التسعة من الكرد، ويذكر د. اديب معوض ان الكرد «طالما ناضلوا ويناضلون في سبيل بيضة الوطن العربي في فلسطين...» فيدعو الى التفاهم بين الكرد والعرب ويحذر من مغبة نزوع بعض العرب الى «الطمع في اذلال الكرد واستعمارهم، وهم لم يبرحوا في حال من التنظيم يعوزهم فيها اليد الصديقة المجاورة، الى داخل البلاد العربية فيقونها من بقايا العناصر الغريبة، ويتفقون مع تلك اليد، اذا نالت بغيتها من الحرية والسيادة، على المغرض معاً والطامع يتعاونان على إقصائه إلى الأبد، عن مقدس إستقلالهم في وطن سعيد وادع، في وسعه أن يضع، إذا أستتب له السلام، كل مالديه من

موارد الروح والعقل والمادة، في سبيل الحضارة والرقي البشري العام.»

تلك هي الأفكار النبيلة التي قال المؤلف عنها: «... نرسلها عند الإنتهاء من هذا البحث، لعلها تؤتي في الدرجة الأولى ولدى الأوساط العربية الخالصة التي نفتخر بأننا منها واليها، ثمرة من حسن التفاهم يافعة بين الكرد وجيرانهم العرب، فينعم الطرفان بلذة طعمها، بينما الحسرة والمرارة لن تكونا إلاّ من نصيب الطامعين فيهم...» الخ!

من كتب المؤلف المنشورة حتى سنة ١٩٤٥:

يذيل د. أديب معوض بحثه الإجتماعي بذكر الكتب التالية التي نشرها حتى ذلك الوقت وهي:

١- أجل! نحن الشعراء.

٢- النظام الجديد بين الديمقراطية والدكتاتورية.

٣- القضية الكردية بين الأمس واليوم - بحث تأريخي سياسي.

٤- الأكراد في لبنان وسوريا - بحث إجتماعي.

مراجعة وهوامش:

حالما أستلمت النسخة القديمة من الكتاب قمت بمراجعتها وتصحيح عدة أخطاء مطبعية، بعضها مما اشار المؤلف بنفسه إلى تصويبها حسب قائمة وضعها في نهاية الكتاب، وحرصت على كتابة بعض الهوامش والملاحظات التوضيحية لأسماء المدن والأعلام، وقد أرفقت الطبعة الجديدة (وهي الثانية منذ ١٩٤٥) بهذه الملاحظات والهوامش، التي تتضمن قراءات سريعة لبعض محتويات الكتاب.

فلك الدين كاكەيى

تمهيد

الى قراء العربية، في هذه النبذة القصيرة من موضوع الأكراد والكردية الرحب، بعض الشيء الذي نشر تباعاً في مجلة «النشرة»، والذي يلمون معه بوشل من هذا الموضوع الطريف. وهو موضوع نظنه يهمُّ الكردي والعربي معاً، اذ يعلم كلاهما بواسطته أو يستذكران على الأقل، ما في الوسط الذي يعيش فيه من تداخل وتمازج وتنافر يتألف منه المجتمع اللبناني والسوري. ان مثل هذا الوقوف والإطلاع أمر لابد منه، والبلاد قادمة حتماً على تمخضات في السياسة والأجتماع فيها الكثير من روح الجد والعمل الحاسم، خلال المدة القصيرة التي تلي هذه الحرب(١).

وكم كان في ودي لو اتيح لي من الفرص والوقت ما أتمكن معه من الإحاطة بهذا الموضوع إحاطة أوسع وأدق، ومن عرض ما بيَّنَا من أحوال الأقوام التي دخلت مع الزمن علة هذا القطر من غير الأكراد ايضاً؛ اذن لكانت الفائدة أجدى وأعم، وكانت الغاية أوفى وأتم. ولكن، ما لا ينال كله، لايترك جله، وبالله التوفيق، أولاً وآخراً!

بيروت ١٩٤٥

أديب معوض

الأكراد في لبنان وسوريا

توطئة في جغرافية وتاريخ كردستان

يجمل بنا، قبل أن نلمّ ببعض المعلومات حول الأكراد النازلين بلبنان وسوريا، أن نعيد الى مخيلة القاريء وذاكرته، بعض الخطوط الجغرافية والتاريخية العامة التي قد نحتاج اليها في معرض الكلام عن هؤلاء القوم، مما يساعده، تسهيلاً لأستيعاب دروس أخرى ممكنة في هذا الموضوع، في أجتناء الفائدة العلمية الخالصة منها.

يعد الأكراد اليوم، نحواً من تسعة ملايين(٢) يعيش معظمهم متكتلاً في منطقة جبلية ممتدة من خليج فارس(٣) في الجنوب الشرقي من جبال زاغروس حيث يتصلون مباشرة بالشاطيء، ومتجة من ثم نحو البحر الأسود في الشمال الغربي من حيث يطلون على مياه الشاطيء، دون أن يتصلوا به مباشرة. وهناك، الى جانبي هذه الرقعة المستطيلة، منحدران يذهب الواحد منهما شرقاً في شمال حتى العراق العجمي(٤) وقلب البلاد الإيرانية حيث يعيش بعض الكرد مجتمعين أو متفرقين، بينما الآخر يتجه غرباً في جنوب، نحو المحمرة ووادي الرافدين من جهة، ويتصل منه قسم من الجهة الأخرى، اي في الشمال الغربي من هذه السلسلة الجبلية الضخمة، بهضبة الأناضول الشرقية حيث تجد منهم من يعيشون، على قلتهم، متفرقين، مختلطين بأتراك المدن الكبرى على الخصوص؛ كما ان هنالك، أي في القفقاس شمالاً وفي خط يذهب من غربي الموصل ماراً بالجزيرة فجنوب الحدود التركية حتى ساحل المتوسط في الأسكندرون، جماعات كردية متكتلة خصوصاً في هذا الخط الغربي الملاصق للزاوية الشمالية الغربية من الرقعة الكردية التي نحن بصددها والمعروفة بأسم كردستان أو بلاد الكرد. الأمر الذي من شأنه، ان ننظر فيه نظرة جغرافية محضة، أن يجعل من الخط المومأ اليه –بما فيه جزيرة الفرات الكردية شرقاً والجبل المعروف بجبل الاكراد غرباً ومابين الأثنين من المناطق المأهولة بالعنصر الكردي في أكثريتها الساحقة – أرضاً كردية

يعتبرها الكرد جزءاً لا يتجزأ من الوطن الكردي الأصلي ويعملون الآن على ضمه الى كردستان الكبرى، فيما لو قدر لهم، بعد هذه الحرب، أن يجعلوا منها بلادا مستقلة وذات سيادة دولية[٥].

هذا بعض الشيء من وضع كردستان الجغرافي اليوم، نضيف اليه بعضاً آخر نجتزيء، فيه على لمحة تأريخية خاطفة، نضعها في يد القاريء ونقتصر فيها على الألماع الى ما يأتي[٦]:

عند مؤرخي الكرد، أن هؤلاء – وهم، إن صحت نظرية العرقية في أجناس البشر، يمتون في الأول الى العنصر المسمى بالآري – يعودون في الظهور الى عالم التأريخ للمرة الاولى، حتى الى العهد المادي[٧] دون ما قبله حيث ليس في متناول المؤرخ المدقق من مستندات ووقائع مايجيز له أن يثبت وجودهم فيه واقامتهم بالمنطقة الجبلية التي يقطنونها اليوم على الأقل، ماقبل القرن العاشر أو الثاني عشر قبل المسيح. أما أن في لسانهم مايؤيد القول بأنها من اصل هندي أوروبي فهو أمر يكاد لايكون فيه للجدل مجال لدى علماء اللغات. واما سيماؤهم فإنها، وان كانت على العموم أكثر ما تشبه في التكاوين وما اليها من لون البشرة والعينين بوجه اجمالي سيما الأيراني والقفقسي[٨] مثلاً، لاشك في كونها دليلاً على ان الكردي لم ينزح الى حيث هو الآن، من منطقة المراعي الجنوبية الغربية في آسيا، ولا من بادية الجزيرة العربية وموطن الساميين الأصلي.

ومهما يكن من أمر، فان شكل الوجه ولونه وزرقة العينين، كل هؤلاء، ان نحصر فيها اصل العرق في الانسان عامة وفي الأكراد او في سواهم خاصة، ليس لها ان تدلنا على شيء ثابت في هذا الموضوع؛ ذلك بأن الكلداني من سكان الموصل او قراها مثلاً– حيث ليس من صلات الدم ما من شأنه أن يؤذن بالقول بأنه من غير العنصر المسمى سامياً وبأن مجاورته الموروثة للكردي هنالك أورثتهُ بياضاً في بشرته وزرقة في عينيه أشد فيه منها عند جاره – نعرف جيداً انه غير آري البتة، مع ان كل هذي المظاهر البدنية الآرية موفورة له اكثر منها للكردي والايراني والقفقسي.

هذا، وتاريخ الأكراد الإجتماعي يكاد يكون خلواً من الأدلة والآثار القاطعة التي تحملنا على القول بأنهم، حتى الدولة الايوبية في مصر والشام وكردستان، قد بلغوا، في تطورات أستقلالهم الداخلي على الأجيال، مبلغاً وسعت لهم معه قابلية العمل على تأسيس دولة أو أمبراطورية أو حضارة كبرى، خلفت وراءها معالم باقية في مدينة العلم والفن والدين والحرب والسياحة. بل قد لا يرجع اسم الكرد -اذا أطلقناه على عموم الأقوام المأهولة بهم في يومنا جبال كردستان - إلاّ ما بعد الفتح العربي على يد الاسلام الذين دوخوا، فيما دوخوا من الامبراطورية الساسانية، منطقة الجبال المشار اليها، دون أن يكون هناك ذكر لقوم يعرفون بهذا الأسم.

ويبدي التاريخ والواقع الصارخ أن الكرد قوم لم يوشكوا أن يتأثروا من الاسلام بغير الدين الذي اعتنقوا و اللغة التي أخذوها منها مع الزمن شكلها الخارجي، اي اداءها كتابة بالحرف العربي(٩). وهذا الأخير ظاهرة أخذت تتقلص، أقله في الأوساط الكردية خارج العراق المعاصر، اذ تجد الاكراد، حتى اكراد لبنان وسوريا انفسهم، ينشرون مطبوعاتهم، بما فيها جرائدهم ومجلاتهم، بالحرف اللاتيني دون سواه . وليس من اثار قيمة في الادب الكردي المكتوب، خصوصاً في الشعر « الكلاسيكي»، ما يرتقي عهده الى ما قبل القرن العاشر للميلاد؛ الامر الذي يشير الى ان نشوء اللغة وارتقاءها كاد يكون مرافقاً لظهور هذه الاقوام في الجبال المذكورة، ظهوراً ذا طابع قومي خاص . وكردستان يمكن اعتبارها من هذا القبيل، كالجبال اللبنانية التي كان الغزاة الفاتحون يطوفون بما جاورها من الاراضي المنخفضة حيث يوطدون سلطانهم متمركزين، مكتفين من سكانها بالاعتراف بسيادة الفاتح وبدفع الجزية، ما دامت له قوة السلطان وهيبتها .

واذا عدنا الى استنطاق التاريخ العسكري والسياسي القديم، يصعب علينا ان نعثر في هذه الرقعة الجبلية المترامية الاطراف، على بيِّنات تؤيد الحدث بأنه كان هناك، في مطاوي الايام، غير «البرثيين»(١٠) ممن راحوا من شعوب العالم القديم يؤسسون الدول والحكومات المنظمة، وممن يكثر الظن مؤيداً بعض التأييد، بأنهم من سكان هذه الرقعة عينها، وانهم، بالنتيجة، اسلاف الاكراد فيها، بعد الماديين .

اما في العهد العربي الاسلامي فقد خضعت هذه الجبال للفاتح، دون ان تثور في سكانها حمية العمل على الانفصال وعلى تأسيس دولة موحدة يكون فيها العنصر الكردي مسيطراً . لقد تجزأت الامبراطورية العربية في الشرق على العهد العباسي[١١] ابان الانحلال والانحطاط، فكانت الدويلات من امارات وممالك انتشرت في جميع المناطق، بما في هذه بلاد الكرد وما اليها .

هكذا كان حظ الشرق الأدنى هذا، اثناء الحكم المغولي والتركماني . بيد ان الكرد كانوا، وهم في عقر دارهم، تابعين غير متبوعين، قلما استفزتهم حميا الجهاد في سبيل السيادة القومية، وقد يكون من جملة الاسباب الداعية الى هذا الوضع، ان النعرة الدينية، فضلاً عن تفكك اواصر الشعور الوطني القومي، هي التي حالت دون يقظة هذا الشعور الذي، لدى شعوب الشرق من قبل، لم يكن على الاغلب ليجرأ على رفع عقيرته، منادياً في وجه نظام في الحكم، قائم على الحق الالهي، كما كان في الاسلام . على ان هذا الاخير وهو مزيج من الدين والسياسة – ما كان مقدراً له يومئذ ان يرضي شعور الاقوام الداخلية فيه، على تباين عرقها وعنعناتها، خصوصاً اذا كان من مثل هذه الاقوام من كان ظهوره في المجتمع الدولي حديث العهد كالاكراد، باعتبارهم اكراداً من حيث الاسم على الاقل، دون ما نظر الى الشعوب السالفة التي قد يكونون قد تحدروا منهم فعلاً، مثل الماديين، اذا صحت في ذلك أحداث المؤرخين وعلماء اللغات .

وكذلك القول خلال العهد التركي العثماني، يوم انبرت ايران تناجز الترك القتال في سبيل السيطرة على هذه المنطقة الجبلية التي كثيراً ما كانت، اذا امست اليوم في يد هؤلاء، تصبح في الغد، كلها او بعضها، في يد الايرانيين . وهو ما ساعد فعلاً على ان ينشطر الكرد هنالك مع الايام، بين سنة وشيعة، بالرغم من وحدة الدم واللغة والعادات .

واما يقظتهم في العهود القريبة منا، حتى ما قبل سقوط الخلافة العثمانية، فإنها لم تأت على العموم، إلاّ منساقة فيهم بتيار القومية العالمي، انسياقاً لما يكتب له غير بعض النجاح الرمزي، وان تكن هناك في الافق بوارق تبشر اكراد

العصر بعهد من الاستقلال والسيادة قريب .

لقد جئت، في مستهل هذي التوطئة، على شيء من جغرافية كردستان وعدد الأكراد؛ وأرى الآن لزاماً، تكملة للفائدة، أن أنبه أولاً الى أن من هؤلاء التسعة ملايين كردي، أربعة في كردستان تركيا، وثلاثة ملايين و سبعمائة الف في ايران، ومليوناً ومائة الف نفس في العراق، وثلاثمائة الف من كردستان السورية، دون من منهم في الصالحية في دمشق، على ما سنعلم بالتفصيل؛ كما أنبه ثانياً الى ما هنالك من الأوساط المأهلوة المكتظة بهذا العنصر، مثل مدن ديار بكر وماردين وبتليس ووان وملاطيا والعزيز بتركيا، ثم مدن سنَة[١٢] وساو وشيلاخ[١٣] وكرمنشاه بايران، ثم السليمانية و أربيل وعمادية وسواها في العراق.

الأكراد في لبنان

قلنا سابقاً، إنّ معظم الأكراد أكثر ما يقطنون اليوم في منخفضات جبال زاغروس وما اليها من الأراضي المجاورة، وان ذلك على العموم، موطن الكرد الأصلي منذ قرون. لكن هناك غيرهم ممن قذفت بهم حركة الهجرة مع السنين، حتى ترى منهم في هذا العصر أفراداً كثيرين، أو جماعات ذات شأن، نزحت الى الأقطار النائية وأستوطنتها، سواء في آسيا أم أفريقيا أم اوروبا أم امريكا.

ندع الآن جانباً هؤلاء وأولئك، ونخص البحث في من هاجر منهم الى القطر اللبناني فنقول: نجد الأكراد أما في عكار وطرابلس، وأما في زحلة وبيروت. وهم لذلك طبقتان، او قسمان منفصلان، لا علاقة للواحد بالآخر إلاّ من حيث الأصل. ذلك ان الأكراد في الشمال لم يبق لديهم من الكردية غير الذكر، اذ قد نسوا كل مايمت بصلة سواء الى الأكراد الأقحاح – بما في ذلك اللغة والعادات – وأمتزجوا بسكان المنطقة الأصليين كل الأمتزاج؛ اللهم إلاّ بعض الألقاب، مما يشعر زعماءهم هنالك بأنهم من أصل كردي.

والمعلوم في ذلك ان في عكار ما لا يتجاوز الأثنتي عشرة أو اربع عشرة عائلة من هؤلاء السادة الأقطاعيين، الذين، على رواية بعضهم، جاؤوا يوماً من شرق الأناضول، هم ومن دونهم من الفلاحين، لأسباب لا يعلمون حقيقتها ويقدرون انها لاتتعدى بعض الحزازات أو المناوشات بين هذه العشيرة أو تلك، ان لم تكن هناك في الحقيقة أسباب سياسية حملت حكومة الأستانة يومئذ على أبعاد أجدادهم الى هذه المنطقة. بين الأقطاعيين أولاء، نائب الشمال السابق، عبود بك عبدالرزاق الذي، اذا سألته في كرديته، أجابك بأنه لايدري من أمرها غير الذكرى. ومثل عبود عبدالرزاق، سائر «بگوات» عكار الأكراد.

أما أكراد طرابلس فالظاهر أنهم – ان تعرض عمن هو منهم: عكاري – من اصل كريتي نزحوا عن الجزيرة، لأجل قلاقل هناك واضطرابات، ويمموا شاطيء لبنان حيث استقروا منذ ما يناهز المائة سنة، كما ان أخوانهم بعكار لا تتجاوز هجرتهم

اليها، بناءً على الرواية المذكورة آنفاً، المائة أو المائة والخمسين، على أقل تعديل؛ ذلك ان لم يصح، على ما سنرى، ان آل سيفا، المشهورين في تأريخ لبنان الحديث، كانوا يمتون الى دم كردي. ومهما يكن من كل ذلك، فان هؤلاء وأولئك على السواء فاقدون، فيما هم فاقدون من كرديتهم، حتى نسب العشيرة؛ فهم من ثم – خلافاً لما سلم به حالة بعض الأكراد في سوريا– غير محافظين على اسماء العشائر الكردية المقيمة في البقاع التي هاجروا منها.

وهنا، على ذكر العشيرة الكردية، يجدر بنا أن نفطن القارىء الى ان لفظ عشيرة، أو قبيلة، عند الاكراد، لا يلابس معناه ضرورة كون افرادها وأسرها تعيش – كما بين العشائر العربية عموماً – عيش البداوة، أي التنقل. بل هناك لفظ غالباً ما يعني فقط رابطة النسب دون شيء آخر، وان يكن اليوم، حتى في كردستان العراقية نفسها، بعض العشائر المعلومة التي تعيش عيش البداوة، متنقلة بمواشيها، حسب الفصول، من مكان أو مرعى الى آخر، على مانشهد من ذلك في لواء اربيل.

نعود الى عكار وطرابلس، لنشير الى ما أعتاد الأكراد فيهما الأنصراف له من الأعمال، فنراهم غالباً مايعنون بحراثة الارض في الأولى وبالتجارة في الثانية. على ان قلما يوجد بين هؤلاء من كبار التجار من يستحق الذكر؛ بل الاصح في شأنهم انهم ينصرفون على الأكثر، عن التجارة بحصر المعنى الى مزاولة الصناعات الصغيرة، ولاسيما صناعة الدباغة التي مهروا فيها مهارة تذكر، بحيث ان من منهم في الحقل التجاري لايخرجون عموماً عن كونهم فيه أصحاب دكاكين أعتيادية، بينما هنالك عدد يعتد به من العمالة الأكراد، خصوصاً من طبقة الحمالين –«العتالة»– وهي نوع من الأعمالة الشاقة التي تتطلب، على ما يدرك الجميع، كثيراً من السلامة والعافية وقوة بدنية؛ الأمر الذي غالباً ما يتوفر في الفرد الكردي، لأن الأكراد مشهور عنهم، وعلى ما خبرهم الكاتب بنفسه في كردستان عينها، انهم أصحاب أبدان متينة وعضل صلبة، من حقهم، في هذه الناحية، أن يوضعوا – كسائر سكان الجبال على الجملة – في مصاف الشعوب القوية، السليمة العقل والبدن. أما ان منهم جماعات كثيرة لا تشتغل، او لا تعرف ان تحسن الشغل في غير هذا النوع من الأعمال الخشنة، فهو حقيقة يلمسها السائح

لمس اليد، في اكثر الأقطار والمدن المتاخمة لكردستان، على ما رأيت بعيني في إيران والعراق، بما في هذه الأخيرة بغداد والموصل والبصرة: فلا غرابة في ان ينصرفوا هنا في طرابلس، بل في بيروت ودمشق وسواهما من مدن القطر السوري حيث يعيش بعض الأكراد مجتمعين، للإرتزاق بمثل هذا العمل. وقد يزول كل أثر للغرابة، اذا ذكرنا ان حركة التعليم في بلاد الكرد، بل في مجمل الأوساط الكردية خارج كردستان، جد ضئيلة، فيما لو قورنت بما هناك منها لدى الشعوب المجاورة أو المخالطة لهم. وهل في هذه الظاهرة الواقعة ما يضير، اذا اشرنا الى انها جاءت بينهم، كما بين أمثالهم من الأقوام الحديثة في حركة التجدد، نتيجة فقدانهم، أو قلة ممارستهم حياة الإستقلال القومي على شكل واسع وعلى الطريقة التي عرفها العالم المتمدن في العصور الحديثة والحقيقة بأن ينوه به بعض الشيء، في شأن الأكراد بعكار، انهم فيها محافظون الى حد يذكر، على معنى الحياة يفهمونه، رغم فقدان اللغة والعادات القومية المألوفة عموماً بين ظهراني أبناء الأعمام في كردستان التركية من حيث نزحوا، على طريقة هؤلاء بحيث لايدهشك أن تعثر في عكار على جملة عادات قد لا تكون محض كردية، بيد أنها لا تخرج عما الفه القروي التركي من مفهوم معنى الحياة في أبتسامتها وحلاوة التفاؤل فيها على الأخص .

ذلك بعض ما وصل اليَّ حول الأكراد بلبنان الشمالي في عكار وما جاورها، فنقلته على علاته، عن بعض العلماء الأكراد عندنا.

واما الأكراد في زحلة وبيروت، وهو القسم الثاني منهم في لبنان فانهم في كرديتهم غير اخوانهم في الشمال؛ ذلك بأنهم هنالك، أو في سواهما من أوساط الجمهورية، حيث لايخلو الأمر من أن تجد منهم بعض الأفراد، حديثو العهد في الهجرة؛ فهم لذلك محافظون على الطابع القومي بحرص و عناية تجعل منهم مهاجرين في حصر المعنى، متمسكين بجنسيتهم ولغتهم واخلاقهم وعاداتهم الخاصة، فضلاً عن دينهم، أو مذاهبهم، وطريقة فهمهم معنى الحياة والمجتمع والعمل وما يتصل بالمباديء والعقائد والأسس التي ذكرت من آداب وفنون ومنازع وثقافة ومطامح...؛ أمور من شانها أن تلقي في روعك حرمة كبيرة –

خصوصا اذا جلست الى بعض أقطابهم تباحثهم - حرمة كبيرة لهذه المبادىء وما اليها او ما يتفرع عنها لاسيما شعور الكرد القومي المتبلور؛ كل هذا فضلا هم محافظون عليه من الانساب.

ان من في زحله وبيروت من مهاجري الأكراد ينقسمون عموماً قسمين رئيسيين، يشمل الاول منهما جملة من نزح منهم من تركيا ويضم الآخر من جاء منهم نازحاً عن شمال سوريا . وكلا الفريقين يعودون في تأريخ هجرتهم الى ما قبل عشرين او ثلاثين سنة، على الأكثر.

والسبب الرئيسي في الهجرة من تركيا ناجم في الدرجة الاولى عن سياسة تركيا الكمالية التي، خلافا لمنطوق معاهدة « سيفر» المعلومة، نجحت في القضاء على استقلال كردستان ؛ على ان المعاهدة المشار اليها كانت تنص، في المواد ٦٢-٦٣-٦٤: على ان يترك الاكراد وشأنهم في تقرير مصيرهم السياسي ؛ الأمر الذي، ما يعلم الجميع، ادى الى مشادات واضطرابات بين الحكومة الكمالية يومئذ وأكراد الولايات الشرقية حيث يكثر هؤلاء،ففر، بعد استتباب الامر للكماليين، من فر منهم وتمت بذلك هذه الهجرة التي جاءت بطائفة من اللاجئين الكرد الى زحله وبيروت على الخصوص.

والكردي، رغم تمسكه اليوم في حماسة، بقوميته، يعيش في الوسط الذي لجأ اليه في لبنان وسوريا، كما في سواها، عيشة المسالم الذى يعرف جيداً، وبصورة عملية، كيف يتحاشى التعرض لما ليس بكردي من شؤون هذا الوسط . ولذلك، كانت سمعة هؤلاء الاكراد اللاجئين، من انصع ما يكون ؛ اذ قلما يهتم المرء منهم لغير اعماله الخاصة التي تتعلق بأمور المعيشة، والتي تمس مصالح المجموع الكردي الحيوية .

والأعمال التي يزاولها هؤلاء، سواء في زحلة ام في بيروت، قد لا تتعدى دائرة التجارة البسيطة - شأنهم في ذلك شأن القدماء من اخوانهم في طرابلس - بما الى هذه التجارة صغار الصناعات والنقل الشاق . الا ان منهم، ولا سيما في العاصمة، فريقاً مثقفاً في الآداب والفنون الكردية، ثقافة طالما عرف الجمهور اللبناني من

آثارها نماذج رائعة الجمال الفني، خصوصاً لما كانت اذاعة راديو الشرق[١٤] تتسع لاتحافنا بملح منها حساسة، كان يعزفها او يغنيها بعض الفنانين الاكراد الذين يعيشون الآن بين ظهرانينا . بل هناك طبقة من هؤلاء اللاجئين ذات ثقافة عالية، تتمثل لنا في بعضهم على ارقى وادق ما تكون الثقافات العصرية، امثال الدكتور بدرخان صاحب «ستير» . النجمة و«روجاني»[١٥]، اليوم او العهد الجديد – جريدتان يوميتان كان، الى بضعة اشهر خلت، يصدرهما بنفسه في بيروت، محررتين بالكردية. وهكذا، بين اللاجئين أولاء، السيد محمد مفتي زاده، أحد علماء الدين الكرد الأعلام هنا، والتاجر المعتبر، السيد صالح أفندي سرحدَي.

والجالية الكردية في بيروت هي، على قلتها، ذات كيان محترم وطابع قومي صرف، يهمها جداً أن تظهر في محافلها الخاصة واجتماعاتها العائلية و حفلاتها الرسمية واعيادها القومية، مظهراً كردياً زاهياً، تغتذي الجالية في جوه، بروحية العائلة الكردية الكبرى: فهناك الأزياء والرقص والغناء والعزف الكردي الخاص، يقوم به نفر مختص من المهاجرين الممتهنين. وان يأسف الغاوي اللبناني، الذي طالما شغف ولما يزل بسماع الرائع الطريف من فن الغناء والموسيقى العالمي، فهو يأسف لإنقطاع مثل هذه الحفلات في الاذاعة الرسمية.

ثم ان من ميزات هذه الجالية، ماتبذله من العناية في احياء بعض الفنون الصناعية الكردية في هذا البلد؛ اعني بذلك، أنصراف بعضهن لأشغال الصنارة والتخريم والتطريز والنقش على الأقمشة، نقشاً جدير بكل أهتمام واعجاب، وكثيراً ما نشاهد منه في شوارع المدينة –اذا اعرنا هذه الناحية بعض الإنتباه– نماذج وهاجة وذات قيمة فنية خاصة ترتديها بعض السيدات المتأنقات، وهي، اي هذه النماذج، أغلب ما تكون على شكل مآزر (مراويل) ملأى، في صدورها والى ما دون الصدر، بمثل هذا النقش والتطريز. والمعلوم في ذلك هنا، في هذا البلد، فئة من هواة الفن الشرقي من الأوروبيين والأمريكان، يهمها جداً ان تقتني هذا النوع الجميل المزركش من نتاج المرأة الكردية الفني.

في بيروت حركة ثقافية كردية تسترعي الخاطر وتدعو الى كثير من التقدير؛ ذلك

ان الجالية تكاد تكون، على قصر عهدها في البلدة، مستغنية عن سواها في ما يلزم توفيره لأفرادها من انواع المطبوعات ذات الحاجة الماسة واليومية، كالتقويمات والروزنامات وما اليها من ضروريات النشر العلمية والفنية، مما اعتاد ان يقوم به الدكتور بدرخان[١٦] الذي، الى جانب ما يبذله من المساعي المتنوعة في سبيل الثقافة الكردية في اوساطنا، لا يألو جهداً في نشر التعليم ومحاربة الامية بين ابناء جلدته: فقد سعى سعي الناجح، هو وبعض النافذين من ابناء قومه المهاجرين، حتى وضع مؤخراً في تصرفه، غرفتان في بناية (الليسية) الفرنسية كان يجمع فيها كل مساء جماعة من الاكراد الأميين، فيلقي عليهم بنفسه، دروساً في اصول اللغة الكردية ؛ كما انه كان قد وفق من قبل في فتح مدرسة خاصة بحي المصيطبة، ادت، داخل جدرانها، اجل الخدمات الثقافية للجالية المقيمة في العاصمة، مدة من الزمن غير وجيزة. بل هناك في المدينة، بين بعض الهيئات الاجنبية التي طالما كانت ولا تفتأ تعنى بشؤون الاجتماع والثقافة في هذا الشرق – حيث يهمها ان لا تفرق بين عنصر وأخر– من حفزها مؤخراً، تجاه الوضع المتأخر الذي لم تبرح عليه جماعات الكرد المهاجرين من العمالة، حافز الغيرة الانسانية الخالصة، فاخذت توالي مديد المساعدة لهؤلاء، باذلة لهم من مالها واوقات افرادها، عملاً على رفع مستواهم الصحي والتهذيبي في مناطق من البلدة معلومة، على ما نراه من همة المرسلية الاميركية في «زقاق البلاط » مثلاً، الى جانب من دار امين سرها.

اما عدد الاكراد في العاصمة اللبنانية فيتراوح بين الخمسة آلاف والستة، بينما هم في زحلة، لا يتجاوزون بعض المئات . واما طرابلس فلا تعرف من اصل كردي غير عائلات معدودة، بينما عكار لا يكاد يقطنها من اصل غير كردي، الا القليل ان صحت بعض الروايات.

ومذهب الأكراد الديني في لبنان، مذهب المسلمين السنة، في الأكثرية الساحقة؛ هذا إذا قصرنا الكلام على المهاجرين منهم في زحلة وبيروت، حيث نجد، في كلتا المدينتين، بعض الأكراد المسيحيين[١٧]، لاسيما الكاثوليك، سواء في هؤلاء الكلداني أم السرياني على الأخص.

واما الآشوري، فقد يغضب، بالرغم من معرفته لك، من قولك له –أنت كردي، كردي العرق؛ على ان الأشوريين الأكراد أنما هم في الحقيقة نادرون؛ وهم، مع ذلك، يميلون الآن كل الميل الى القول بالكردية السياسية، معترفين، على مضض، بانها كانت جد خاطئة وفاشلة، تلك السياسة الدولية التي، عقب حرب ١٩١٤ – ١٩١٨، قد زجت بهم مابين العرب خارج كردستان. وكردستان طالما أعتبرها الآشوري ولما يزل – شأنه في هذا شأن الكردي نفسه– بمثابة وطن له متقادم دون البلاد العربية. والذي يهمه اليوم في هذا الباب، أن تستقل كردستان ويكون فيها أبناء جلدته –كما يتمنى الأكراد أنفسهم– أحد العناصر الوطنية المعترف بها دون قيد و شرط. ذلك ما يقول به، بعض الزعماء الأكراد.

هذا في زحلة وبيروت؛ وأما عكار وطرابلس، فالكرد فيها (كما هو معلوم) فأنهم على مذهب السنة.

الأكراد في سوريا

أما في سوريا فالأكراد أيضاً قسمان: مندمجون، ممتزجون الى حد لم يبق معه أثر لقوميتهم، وآخرون لما ينفكوا على كرديتهم يحرصون عليها وعلى مظاهرها كل الحرص. بل هناك، كما في لبنان، من جاؤوا من كردستان التركية أو من سواها، ومنهم من هم فيها أصليون عريقون، باعتبار ان المنطقة التي يأهلونها اليوم من سوريا، جزء في نظرهم لا يتجزأ من كردستان الكبرى، على ما اشرت سابقاً، وان هذه المنطقة منسلخة عنها بالقوة، أي بفعل المعاهدات السياسية التي أبرمت، كما يقول الأكراد، بمعزل عنهم ورغم شتى الإحتجاجات والمناهضات.

ليس الغرض هنا، من هذا البحث، سياسياً ولا متصلاً بالسياسة في شيء. لذلك نتجاوز هذا الوضع وما اليه، للقول بأن الممتزجين من أكراد القطر الشقيق بالمجتمع السوري الحاضر، مقيمون اما في دمشق واما في حماه واما في أماكن أخرى من الجمهورية السورية، مثل قضاء حارم بين حلب والأسكندرون، وجبل الأكراد في العلويين حيث لا تقل قرى الأكراد عن الثمانين –وجبل الأكراد هذا غير جبل الأكراد الواقع في شمال سوريا من جهة الغرب، على الحدود التركية، كما سنرى. والمقيمون بدمشق من هؤلاء الممتزجين يؤلفون مايقارب الربع من حي الأكراد المشهور في الصالحية، إبتداء فيه من المحل المعروف بـ«الشيخ محي الدين» الى ما داخل الحي. كل هؤلاء في دمشق وحارم والعلويين وحماه، بل كل من اليهم من افراد أو عائلات الكرد المنتشرين هنا أو هناك في سائر أنحاء القطر –مدناً وغير مدن– ان جميع هؤلاء وأولئك قد نسوا، مثل اخوانهم في الدم بشمال لبنان، كل ما يرجع الى أكراد كردستان بصلة ونسب تقريباً، بحيث أنهم لم يستبقوا من كل ذلك غير الذكر بأنهم من أصل كردي نزحوا مع الزمن وعلى التوالي، الى هذه البقاع وأستوطنوها.

ومجمل العادات واللهجات والأخلاق والأزياء وجميع مظاهر الحياة الإجتماعية في الفن والأقتصاد والثقافة قلما، أو لا تختلف في شيء، عند الممتزجين أولاً، عما

درج عليه سواهم من أبناء المحيط. وعلى ذلك، راحوا هم ينصرفون، في الحياة العملية، لما أشتهر فيه المحيط نفسه من أعمال وأشغال تختلف بأختلاف البيئات منه والطبقات. فكان من ثم على الاغلب فلاحون منهم وملاكون في العلويين مثلا حارم، كما ان أغلبهم في دمشق وحماه يزاولون التجارة أو الصناعة، أو يتقيدون، في الأولى على الخصوص، بالوظيفة الحكومية، او بالأستخدام التجاري. أما اللغة الكردية فقد تجد مابينهم حتى الآن بعض الشيوخ الذين يعرفونها، سواء في القرية أم في المدينة، لاسيما في منطقة حماه. بل ان هناك فارقاً آخر بين أكراد عكار وطرابلس من جهة وبين هذه الطبقة الممتزجة[١٨] من أخوانهم في سوريا من جهة أخرى: والفارق هو ان هؤلاء الآخرين ليسوا، في القرى التي يسكنون، صرف أكراد، بل عادة ما يكونون فيها مختلطين بالاصليين من اهلها. ثم هم اشد عطفاً على الكردية منهم في عكار وطرابلس. ولاشك في ان هذه الظاهرة أنما هي نتيجة تمسكهم، أو نتيجة بقاء شيء لديهم مما يمت الى الكردية، لا سيما اللغة، ولو على قدر ووجه جد ضئيل ومحدود. على ان في الامر ما يبعث على طرح مثل هذا السؤال – هل يمكن لهذه الطبقة الكردية الممتزجة في سوريا ان تستجمع ما بقي في نفسيتها من آثار او اصداء الكردية، استجماعاً يمكنها، اذا شاءت، من احياء الشعور القومي ونبذ هذا الحد البالغ من الامتزاج، او الوقوف عنده نهائياً؟ ان الجواب الذي يسمعك اياه بعض المتنورين من قادتهم، لا سيما في بيروت، يعلنون ان ذلك امل ضائع، ليس من القوة بحيث يتيح لأي كان، عملاً منتجاً من هذا الطراز. ان الامتزاج سائر هناك، في نظر هؤلاء القادة، حتماً الى النهاية.

لقد خرج من صفوف هذه الطائفة الكردية الأصل، في الوطن السوري، اعلام بارزون[١٩]، حتى في حقل القومية العربية، امثال ابراهيم هنانو في حلب، وعبدالرحمن باشا في دمشق، واشهر مشاهير القناصين في سوريا بل الشرق العربي، السيد ابش، رفيق الامير يوسف كمال المصري في مجاهل افريقيا وادغالها، ومحمد كرد علي، والشاعر المعروف في العربية، خيرالدين زركلي؛ ثم رئيس محكمة التمييز بدمشق، مصطفى بك برمده من حارم ؛ ثم آل برازي في حماه، او فيها وما جاورها حيث بلغ عدد العائلات منهم بين الخمسين والستين

عائلة او بيت – هؤلاء ومن اليهم من الشخصيات السورية الكبيرة في كل حقل من حقول النشاط الاجتماعي، ممن سنفرد لهم، ان شاء الله، مقالاً خاصاً نضمنه بعض المعلومات الطريفة حول البارز من أعمالهم.

ان عهد هؤلاء الشخصيات باللسان الكردي ليس ببعيد؛ فان آباءهم كانوا يتكلمونه الى سنين خلت، لا تتجاوز الخمسين. هذا، وفي دمشق حي أخر يقيم فيه حتى اليوم، بعض الجالية الكردية المتحدرة منها مثل أسر الشخصيات المومأ اليهم وسواهم، هو حي السروجة، حيث تقيم الآن عائلة عبد الرحمن باشا وعائلة ابش . وامثال هذه الاسر عديدة، راحت، في امتزاجها بالوسط، شوطاً ابعد من شقيقاتها في محلة الشيخ محي الدين بالصالحية؛ وذلك نتيجة وقوع هذا الحي في وسط المدينة: وهو امر سهّل عملية الامتزاج وعجل في نضوجها .

عودة الى حي الصالحية بدمشق نترك فيها وراءنا محلة الشيخ محي الدين ونلج بها الى ما قدام، الى قلب صالحية الاكراد؛ فماذا هناك؟ ان هناك وسطاً بحت كردي في لغته واخلاقه وعاداته وازيائه ومعنوياته وثقافته وفنونه وصناعاته وما كل ذلك من ميزات وخصائص يعرف بها الكردي والكردية، اينما كان وكيفما اتجه. هؤلاء هم الجالية المحافظة التي لم يؤثر عليها الوسط بعد، والتي، على خلاف الجوالي الاخرى جميعاً، لا تفتأ تحافظ على أنسابها. بل في ذلك ميزة لها خاصة، حرية بأن تلقي العجب فيك، وهي ان هؤلاء الاكراد – وهم ثلاثة ارباع العنصر الكردي بدمشق تقريباً – يوفرون عليك مشقة السفر، او الاسفار، تتجشمها في بطون كردستان وتلالها ليجتمع لديك جدول في اسماء العشائر الكردية على اختلافها؛ ذلك ان في صالحية الأكراد المحافظين بدمشق عائلات تمثل جميع الأنساب الكردية المنتشرة في جميع العالم الكردي على الاطلاق.

وهي – والحق يقال – ظاهرة غريبة، رائعة في غرابتها، تضع بين يديك أسماء العشائر المعروفة في كردستان الكبرى، مثل «زازه»، «ملّة»، «سرحدي»، «بابا كردي»، «بُولي»، «مُوتكي»... الى كل ما هنالك من أسماء الأسر والعائلات والعشائر والقبائل الكردية العريقة في نسبها الكردي، مما يعطيك صورة في الصالحية

مصغرة عن الأقوام الكرد، على تباين فصائلهم وبطونهم!

وجواباً على سؤالك ما اذا كان هؤلاء الأكراد المحافظون سوف تندرس كرديتهم فيمتزجون نهائياً، مثل سائر الجاليات الكردية في شمال لبنان وأكثر الأنحاء السورية، ترى علماءهم في بيروت مثلاً يعتبرون على وجه التأكيد أنه، اذا تم الأستقلال لبلاد الكرد بعد الحرب، ستكون النتيجة في مصلحة الكردية بين هؤلاء، على نسبة ٧٥ في المائة، على أقل تقدير؛ وذلك بفضل الهجرة التي سيسهل امرها عندئذ فتترك مثل هذا الوسط اسر عديدة، فضلاً عن الافراد، ممن ينزحون ثانية عائدين الى الوطن الأم، وهم، لأسباب عدة لابستهم ولابسوها طويلاً في موطن الهجرة، أليق من يكونون للمساهمة في أنشاء دولة كردية جديدة على الطراز العصري. على أن بين المحافظين أولاء نخبة يعتد بها، عدداً وثقافة، ممن هم جدراء بالشؤون الادارية والفنية، نسبة الى اخوانهم في نفس كردستان حيث لما تبرح أسباب التعليم والتثقيف والأختصاص غير متوفرة بصورة كافية. هذا فضلاً عن أنهم لم ينسوا بعد اللغة الكردية التي، اذا حلت في محال الصالحية الكردية بالعاصمة السورية، تكاد لا تسمع سواها بين الجمهور. بل ان الناس هناك لايتكلمون العربية، الا بفضل الممارسة أو المدارس الرسمية خصوصاً، بينما النساء والأطفال في البيوت لا يعرفون غير الكردية التي تعتبر في حق لغة الجالية الرسمية في الحي، ولغة العائلة الوحيدة فيه. ولايقل عدد هذه الجالية في الصالحية الكردية غير الممتزجة عن اثني عشر الف نسمة، كما ان مجموع الأكراد بدمشق، بمن فيهم هؤلاء والممتزجون، يعادل العشرين الفاً. ثم ان صح أن فأل الزعماء الأكراد بعودة غير الممتزجين على الاقل من الجاليات الكردية بدمشق الى الوطن الأم المستقل امر واقع يتم لهم في الظروف والأحوال المناسبة، فهل يكون هناك من خوف راكز على اساس صحيح من ان عمل المدارس الرسمية خصوصاً مكتوب له، في وقت قريب، أن يحول، كما يظن بعضهم، دون تحقيق مثل هذه الأمنية، اذ تكون عملية الصهر والإمتزاج قد نضجت في الوقت المناسب، تلك أمور مرهونة بأوقاتها لايعنينا الآن كثيراً أن نخوض فيها.

الأكثرية الساحقة من هذه الطبقة تزاول التجارة في دمشق، لاسيما تجارة

الأغنام مع كردستان. وجلب ما نعرفه في هذا القطر، بالغنم الأحمر التي تعلقها للمؤونة (الأورمه) على ابواب الشتاء –وهي المسماة في الكردية «بازيه سور» من سرحد بتركيا الكردية، وفي الدارج «مور» – إنما هو من عمل هؤلاء التجار الكرد في الشام على الأخص. وتجارتهم في نفس دمشق متنوعة ومتفاوتة الدرجات، ومنها بعض الأعمال الواسعة؛ غير أن أكثرها من النوع البسيط، كما ان الصناعات التي يمتهنونها لا تتعدى، هي أيضاً، الصناعات الصغيرة. وطائفة منهم تملك الأراضي؛ بل منهم بعض كبار الملاكين، وفريق مزارعون يعملون في حراثة الأرض؛ وهناك عدد لابأس به يشتغل في أعمال البناء وما ضاهاها، بما في ذلك «العتالة» وآخر يرتزق بالوظيفة، وعلى الأخص في الجيش والشرطة والدرك. والرائج كثيراً بين أكراد الشام، العمل في صناعة النسيج التي تستحق، لكثرة أقبالهم عليها، أن نخصها بالذكر.

المشهور عن أكراد الشام انهم على العموم يقيمون بالصالحية، حتى انه غالباً ما يتبادر الى الأذهان، لاسيما عند من لم يزر المدينة، ان الصالحية هذه ليست مأهولة بغيرهم؛ والواقع انه في الصالحية هناك قسمان كبيران يسكنهما الأكراد، بينما الآخر يعرف بالمهاجرين، أو بحي المهاجرين؛ ولكل منهما شعبة خاصة من خط ترامواي المرجة تنتهي فيه.

في دمشق الكردية مجلتان أيضاً، «الهاوار»(٢٠) أو النداء، و «روناهي» أو النور، وكلتاهما تصدران في الوقت الحاضر بالكردية؛ وهدفهما علمي أدبي، وان عنيت الأولى منهما بالناحية العلمية على الاخص، والثانية بالأدب الشعبي، باذلة جهدها في تعميم العلوم ونشرها عن طريق هذا الأدب، بين طبقات الشعب العادية. مع ذلك، انما هو اللسان الكردي البسيط، الشعبي – دون «الكلاسيكي»– الذي تكتب به المجلتان؛ شأنهما في ذلك شأن «ستير» و «روژانو» في بيروت.

والمفهوم أن الغرض من ذلك انما يهدف، بالرغم من ان الكردية «الكلاسيكية» جد راقية وغنية، إلى تثقيف الجمهور وتوجيهه توجيهاً صحيحاً في معمعان الحياة العصرية المتلاطم.. وهذا الموضوع يذكر بما يقوم به من النشاط في سبيل

الكردية، بعض الوجوه والأدباء والعلماء والوطنيين القوميين الأكراد في القطر اللبناني السوري على ضآلة ما هنالك من موارد العمل لديهم، تحقيقا لهذا الغرض. واذا كان مقدوراً للجاليات الكردية القديمة في هذا القطر، ان تنظم صفوفها في سبيل الكردية، فعندي ان ذلك منوط بعمل هؤلاء الأفراد وما قد يلقونه من أيد في ذلك، لدى بعض الهيئات والمراجع والمنظمات الكردية. ومهما يكن من هذا القبيل، فالظاهر ان الكردية سائرة الى الأمام، في طريق الوعي القومي والتقدم. وقع في يدي حديثاً بعض كتب التدريس العصرية المخصصة للأحداث والمبتدئين، فدهشت لما هو بادٍ فيها من آيات المجهود والأتقان وهي كتب وضعت بالحرف اللاتيني.

من مشاهير أكراد الشام غير الممتزجين، خالد بكداش، رئيس الحزب الشيوعي في سوريا – وهو يتكلم الكردية ومن حي الأكراد بالصالحية – ومثله رشاد عيسى، أحد الشيوعيين المعلومين هناك، ثم بعض الزعماء المحليين المعروفين مثل عمر آغا شامدين وعلي آغا زلفو وعثمان آغا آلوسي –من غير آلوسي بغداد العرب – ثم بكير آغا آلوسي أحد كبار تجار الغنم.

ذلك وفي منطقة حماه من الأكراد الممتزجين ما تقدر عائلاتهم بالمئات – بما في هذه آل برازي أنفسهم. أما في حارم، فعدد هذه العائلات محدود جداً. وأما الدين فسواد الأكراد بسوريا على مذهب السنة منه، الا، كما ذكرنا في الكلام على هذا الموضوع في لبنان، النادر من الآشوري والقليل من الكاثوليك –سرياناً و كلداناً؛ وذلك في الجزيرة ومنطقة كورداغ، ثم على الخصوص في منطقة الموصل وفي جبل سنجار من العراق، أو بين غير المسيحيين من اليزيدية هناك وفي المنطقة الكردية بالشمال السوري حيث تجد بعض الأوساط المهمة من اليزيدية؛ على ان هؤلاء، كما هو المشهور، انما هم أكراد أقحاح في كل شيء، في الدم واللغة والأخلاق والدين والعادات والتأريخ، على ما سنرى، اذا إتسع المجال للبحث في ذلك، عند الكلام على الأكراد في الشمال السوري.

الأكراد في شمال سوريا

بقي علينا، وقد بلغنا بالقاريء هذا المبلغ من تتبع الأحوال الملابسة لحياة الأكراد الإجتماعية عندنا، أن نلقي نظرة أخيرة نلخص فيها له، وضع طائفة منهم لانجدها في لبنان، بل في القطر السوري فقط؛ وهو فارق جوهري يمتاز به وضع هذه الطائفة القومي بين البلدين. نصرف النظر الآن عمن يعيش في سوريا من مهاجري الكرد الذين، كما أمّوا لبنان ويعيشون فيه اليوم قد أمّوا سوريا في عين الفترة، اي بين الحربين العظميين، وهم يعيشون فيها، ثم نذهب بالقاريء الى هذه الأخيرة حيث نجد، في شمالها، منطقة واسعة الرحاب تمتد بين المتوسط غرباً ونحوم الموصل شرقاً –على ما اشرنا في مقالنا الأول– وهي، في أكثريتها الساحقة، مأهولة بالعنصر الكردي الخاص؛ عنصر يعتبر نفسه كرديا دون شيء آخر، مع أنه –خلافاً لوضع الجاليات القديمة المنتشرة من أخوانهم في القطر، بما في هذه على الخصوص غير الممتزجة منها بالمحيط، كما في دمشق بالصالحية – ممثل في مجلس النواب السوري(٢١) حيث له أربعة عشر نائباً ينوبون عنه بصفة طائفة عنصرية تختلف في أوضاعها الأجتماعية والعرقية جميعاً عن سائر العناصر الطائفية والقومية التي يتألف منها جسم الكيان القومي السوري في الوقت الحاضر.

لكن، بما ان الموضوع الذي نعالج، لانريد أن نلمس منه غير الناحية العلمية، نلتفت عن عنعنات الأكراد السياسية، في مايعود من هذه الى شمال سوريا على الخصوص، لنتابع السير في إستقصاء أحوالهم بمعناها الإجتماعي الصرف فنقول: لم نعثر أولاً على ما ينفي من الأخبار كون هذا الجيل من الناس غير أصيل هناك، منذ اذ عرف الأكراد في التأريخ معرفة شعب قائم بذاته، مستقل في أوضاعه الأجتماعية على الأقل عمن دار به أو خالطه من أقوام هذه المنطقة؛ وهي ذي نفس المنطقة التي نوهنا بها في مطلع هذا المقال الثالث، وقلنا أنها موضع مشادة بين الوطنيين السوريين والوطنيين الأكراد. ونحن، ازاء وضع شاذ من هذا النوع، لايسعنا القول بأن هناك جالية كردية هاجرت الى الأراضي السورية، كالجاليات

التي تكلمنا عنها حتى الآن، سواء منها جالية زحلة وبيروت والصالحية غير الممتزجة، أم جالية حارم وحماه والعلويين وعكار وطرابلس ودمشق في غير الصالحية الكردية، وما الى هذه وتلك من مهاجري الأفراد والأسر المتفرقة في داخل القطرين، والا لما كانت دمشق رضيت بأن يعامل أكراد المنطقة المذكورة غير المعاملة التي كانت من نصيب أكراد الصالحية غير الممتزجين، ممن لم يمثلوا في المجلس النيابي تمثيلاً عنصرياً مستقلاً كأخوانهم هؤلاء في الشمال.

زد على ذلك، ان هذه المنطقة تعد نفوسها من الأكراد فقط –وهم فيها الأكثرية الساحقة– ما قد يربو، مهما قيل في ذلك، على الثلاثمائة الف، بينما نوابها عن هؤلاء دون الأقلية، نحو أحد عشر، وثلاثة فقط تمثل هذه الأقلية. من ثم يظهر واضحاً اننا في غنى عن التنويه بأن لغة الأكراد هناك وكل ما يتصل بها، أو يتفرع عنها، هي لغة كردية خالصة طغت على كل لسان آخر، حتى أصبح يتكلمها سائر الأقليات؛ هي لغة المنطقة الوحيدة، أو تكاد؛ ونسبتها، من هذه الناحية، أكثر إنتشاراً فيها منها في الصالحية الكردية بدمشق، وعليه، لا يخشى القوميون الكرد من ان يحصل هناك أي امتزاج فعلي، يمكن أن يشكل مع الوقت خطراً على الكردية، حتى ولو لاح شبح هذا الخطر كأنه صادر عن المدارس، مهما كان نوعها أو مستواها.

في المنطقة التي نحن بصددها، بين الألفين والألف والثمانمائة قرية، كلها كردية يتخللها بعض القرى أو المزارع من غير الأكراد، وهذا العدد الكبير من الأماكن المأهولة منتشر، غرباً في شرق، من ضواحي مدينة الأسكندرونة المشرفة شرقاً على الخليج حيث تنتهي غرباً فروع جبل الأكراد المسمى «كورداغ»(٢٢) ومنحدرات هذي الفروع، حتى منتهى قضاء «الجزيرة» الفراتية الشرقي؛ أما الأقضية المنتشرة الى الغرب، ابتداءً من هذا الأخير، فهي «عين ديوار»، «قامشلي»، «رأس العين»، «أراب بينار»، «جرابلس»، «منبج»، «اعزاز» الذي يتصل بقضاء «كورداغ»، أو جبل الأكراد المذكور آنفاً.

وأما النفوس من اكراد هذا الخط الطويل، فإنها موزعة على هذه الأقضية توزيعاً

متفاوت العدد: وكذلك عدد القرى: فإن من هذه أكثر من الف في «الجزيرة» وحدها، ونحواً من ثلاثمائة وخمسين في «أراب بينار» وثلاثمائة و تسعين في «كرداغ»، وهكذا ...

الى أكراد «بينار» وهم -المعروفون بالبرازي- يعود في النسب آل برازي في حماه، ومنهم الشخصيات السورية المعلومة، مثل حسني بك البرازي، أحد رؤساء مجلس الوزراء في سوريا، ومحسن البرازي، أحد الوزراء السابقين فيها. على ان هناك، في هذا القضاء وحده، أربع عشرة قبيلة، أو عشيرة كردية، كلها من نسب واحد، هو برازي، يجمعها الى أصل واحد، مع إختلاف في أسماء بطونها.

ممن عرفنا في بيروت مثلاً من أكراد «بينار»، الدكتور بدرخان الذي نوهنا، في مقال سابق، بأسمه وبألقابه وأعماله ومقامه، سواء بين مهاجريها الكرد، أم بين غيرهم من مهاجرين ومقيمين. هو من مواليد «مقتله»، إحدى قرى القضاء، ودكتور في الحقوق وناشر وصحافي ووطني كردي لامع، واسع الإطلاع في كل مايتعلق بالأكراد والكردية؛ وهو صاحب المؤلفات في ذلك، في جريدتيه الكرديتين الراقيتين، اللتين ذكرناهما في مناسبات سبقت.

من الشخصيات الأدبية والوطنية المشهورة بين الأكراد قاطبة -وهو من اكراد «عامودا» في قضاء الجزيرة قرب القامشلي، لايكاد يتجاوز الأربعين -شاعر الكرد الشعبي العظيم، «جكر خوين»، بل أكبر شعراء الاكراد المعاصرين الذي يمثل أبلغ تمثيل، نفسية أبناء قومه المجاهدين في سبيل الحرية والاستقلال. هو شاعر الكردية المصهور؛ فيه الشعور القومي طاغ على كل شعور سواه، بحيث انه بلغ من تبلور هذا الشعور في صدره، حتى اصبح يعد نفسه، ويعده كل من وقف على نتاجه الشعري، مجرد النفس، منزه العاطفة عما يسمونه مذهباً او ديناً، اذا جاء هذا الدين يحول دون التفاهم المطلوب بين ابناء البشر عامة، وابناء القوم الواحد خاصة، وابناء جلدته على الأخص. على انه، نظراً الى هؤلاء، قد جند شاعريته، بل نفسه وحياته برمتها، للطعن في كل ما من شأنه ان يضع الفوارق ما بينهم . والجدير بالذكر من هذا القبيل ان دروسه لم تتعد بعض المعلومات اللاهوتيه التي تلقاها

في صباه، على مشايخ الدين، بل بلغت به حماسته لهذا المبدأ والرسالة الانسانية ان رجال الدين، او بالأخرى خصومه منهم و ممن نحا منحاهم من الآغوات شهَروا فيه و حرموه من حظيرة الدين الذي يرتزقون به. غير ان ذلك زاد في شهرته، حتى امسى مقرواً في جميع الاوساط ولدى كل الطبقات الكردية، بحيث ان شطراً كبيراً مما نشره باتت الالسن تتناقله والشفاه، سواء بين اكراد ايران ام تركيا ام روسيا ام العراق ام سوريا ولبنان .

اما شعاره – وهو القومية، او « الكردية فوق الجميع» – فينبغي ان يضحي الزعماء وسواهم في سبيلها كل شيء . فهو لذلك ناقم على هؤلاء الزعماء – دينيين ومدنيين، ممن يؤثرون مصالحهم الخاصة على المصالح الكردية العامة –اشد ماتكون عليه وجوه النقمة. وانه، لأجل ذلك، كبير الحظوة في شعره، لدى العامة. ان «جكر خوين» مولود شاعراً بالطبع؛ لذلك، جاءت نفثاته المنظومة كالسهم، تخترق النفس الكردية حتى الصميم، لاسيما انه يخاطبها، خلافاً لكبار الشعراء الكرد السابقين، باللهجة واللغة الدارجة التي تفهمها دون صعوبة. وكونه ينظم باللغة الدارجة، لم يمنعه من ان يحتل المكانة الأولى لدى الطبقات المثقفة نفسها؛ ذلك لأن الأكراد اليوم ماضون في كتابة الكردية الدارجة، حتى في صحفهم، على ما أشرت في كلامي على الحركة الثقافية لدى الأكراد في دمشق وبيروت.

ولا بدع في ان تصلح الكردية، حتى العامية منها، لأداء مايخالج النفس البشرية ويجيش فيها من عواطف، أو ما يتراءى لها من الاخيلة والمعاني الأدبية، فضلاً عن العلمية منها. ان الكردية لغة قديمة؛ وقد بلغت درجات الرقي فيها، منذ القرن العاشر للمسيح(٢٣) حتى الآن، مبالغ رائعة، حتى ان الأكراد يعدون في فخر، منذ ذلك التأريخ الى اليوم، عشرات العلماء والكتاب والادباء والشعراء. من هؤلاء «الكلاسيكيين» مثلاً «ملاي جزيري» و «أحمدي خاني»– القرن ١٧ للميلاد؛ وقبل كليهما «ترموكي» بين القرن الثاني عشر والثالث عشر؛ ثم «سياح پوش» الذي جاء بعد «أحمده» و«آغا يوك» في الثامن عشر، و«عبدالقادري كويي» و«مولوي» في التاسع عشر.

كان في الامكان أن نضع دروساً وأبحاثاً جد واسعة في الثقافة والآداب والاجتهاد عند الأكراد مدى الأجيال: لكن، والغرض الأساسي من بحثنا لا يتعدى الآن عموماً أوضاع الأكراد في لبنان وسوريا، نرجىء الكلام في التفصيل عن هذا الموضوع الى فرصة مناسبة ان شاء الله.

الاكراد اليزيدية

من الأكراد الأقحاح جيل من الناس يعرف باليزيدية . وموطنه الآن على الأخص في العراق، حيث اجتمعت مراكز الدين عندهم والسياسة – قضاء الشيخان الى الشمال الشرقي من الموصل،وقضاء سنجار الى الغرب منها حتى الحدود السورية، ثم في تركيا – منطقة جبل الطور وماردين وديار بكر،وفي ارمينيا – على الحدود التركية الروسية عموماً وفي منطقتي قرص وايراوان خصوصاً، وفي ما يلي ذلك شمالاً، بروسيا نفسها ، حول تفليس في القفقاس ؛ ثم في العجم – قليل منهم هناك او هنالك ؛ واخيراً في سوريا – جبل الاكراد وجوار كلّس وعينتاب من منطقة حلب، ثم هنا او هناك من منطقة الجزيرة الى الشرق من حلب، حتى الحدود العراقية في شرقي جبل سنجار – قرى عدة متفرقة، تبلغ الثلاثين او تزيد .

لا نتوخى، في هذه العجالة، درس اليزيدية في نشأتها وتطورها ولا في ما هم عليه اليوم أتباعها من احوال خاصة، الا منها ما يتصل بهم بالكردية والاكراد، تاركين وراءنا، وربما فقط الى وقت، ما نضحت او تنضح اليزيدية به من عقائد وتعاليم ومبادىء واهداف ومظاهر في الدين مذهبية واجتماعية،او من آثار لا يستدل بها، مهما كان نوعها على ما يتصل من هؤلاء القوم بالعنصر الكردي، غرضنا الوحيد من هذا البحث الاجتماعي الصرف(٢٥).

ليس من شك في ان اليزيدية يمتون بعرقهم الى العنصر الكردي ومهما يكن هناك من الغموض الذي يحيق بدينهم، فان شيئاً من ذلك ليس له اثر في ما يعود الى الوضع الاجتماعي الذي هم عليه ، بما فيه العادات والازياء والاخلاق والاداب واللغة . فانهم، في هذه الاخيرة، اكراد مائة في المائة، وهم يتكلمونها على مختلف اللهجات،ولو شاعت ما بينهم احياناً لغات اخرى يضطرون الى استعمالها مجاراة للمحيط والوسط : على ان منهم في العراق وسوريا، من يتكلم العربية، وفي تركيا، من يتكلم التركية، وهكذا في ارمينيا وروسيا وايران حيث يتكلمون الارمنية او الروسية او الايرانية – لغات يعمدون الى استخدامها خارج بيئتهم في قضاء ما

لهم من الحاجات مع الاقوام التي يعيشون بين ظهرانيها .

وهم، الى ذلك، اكثر ما يشبهون في أخلاقهم – الصدق عموماً والنزاهة والجد وحب الحرية والاستقلال، ابناء عمهم من الاكراد المسلمين الذين، على الاجمال وخلافاً للعرب من ابناء دينهم،اشهر من ان يعرفوا بما فطروا عليه، مثل سكان الجبال على العموم، من نوع الاخلاق والسجايا الطيبة التي نحن في صددها . بل تراهم وهم غالباً ما يستنكفون من مزاولة الاعمال التجارية، مؤثرين عليها الزراعة وتربية المواشي،موقنين بأن تعاطي التجارة امر قلماً يتفق وهذه الخصال الرفيعة، المناقضة للكذب والغش والخداع واسباب الشتم والسبب، وما الى ذلك من دنيء الخصال التي قد لا يسلم معها معبودهم، «ملك طاووس»، من بعض القذف..!

ثم ان اليزيدية لم يكونوا، مع الزمان ورغم ذلك العيش فيه من العزلة عمن حولهم من الأقوام – عزلة أدبية وطبيعية نجمت عن هذه الاخلاق وجاءت غالباً نتيجة اعتصامهم بالجبال أو الوعر من الأرض، لم يكونوا إلاّ ليمتزجوا، مثل سائر الشعوب، بغير الجنس الكردي من الأمم التي جاورهم أو خالطتهم، كالآراميين في سوريا والعراق، والأرمن في أرمينيا، وغيرهم في غيرها. الا ان سوادهم لم يبرح محافظاً على الدم الكردي الأصيل، محافظة قلما تجد لها مثيلاً، ليس فقط بين الأكراد المسلمين بل بين سائر شعوب الأرض.

وهؤلاء اليزيدية هم أكراد في وسع المدقق –ان يترك جانباً ما تأتيه به من الادلة أحوال المجتمع اليزيدي ولسانه –ان يثبت الى حد يعتدّ به اصالة الكردية فيهم، أصالة من حقهم أن يعتبروا فيها، ابلغ تقادماً عداهم من الأكراد واشد منهم تمسكاً بها، لا لشيء الا، على الأقل لأن في الدين اليزيدي وما يتصل به من بعض الآداب والأمثال والأخلاق والعادات، ما يؤيد الحكم القاضي بكرديتهم، على ما سبق فبيّناه من ذلك مستندين فيه الى أحوال القوم الاجتماعية واللغوية على الخصوص.

وهذه الأدلة التي يمكن إنتزاعها من صميم التراث الديني اليزيدية، والتي تؤيد كونهم في الكردية، ان لم يكونوا أبعد عرقاً فعلى قدم المساواة، هم ومن طالما

عرفناهم ولانزال نعرفه بالأكراد من مسلمي هذا الشرق، قد يكون أنها، حتى الآن، لم ترد تحت قلم كاتب ولاباحث.

انها أدلة هي من الكردية بحيث تعود بها الى ما قبل الفتح الاسلامي -الى يوم كانت ديانة (زورواستر)(٢٧) في فارس وما اليها، من خير الأديان وأرقاها وأوسعها أنتشاراً، يوم كان حراس هياكل «النار المقدسة» فئة من الكرد منتقاة يقومون بخفارتها، آناء الليل وأطراف النهار، على ما درج عليه في الفاتيكان مثلاً، من عرف هناك منذ قرون بأسم «الحراس السويسريين»:

من هذه الأدلة، أن البياض الذي، في مذهب زورواستر كان يرمز الى برارة النفس ونقاوة الأعمال، هو الكسوة الوحيدة المقبولة اليوم عرفاً وديانة في الأوساط اليزيدية. حيث تجد آثاراً جمّة تنطق بتسرب «لزورواستريّة» الى المذهب اليزيدي. على ان اليزيدية لايرتدون في مواسم الدين عندهم، أثناء الحفلات والأعياد، غير اللون الأبيض.

والمعلوم في ذلك، ان هذه الطائفة من الكرد، قد تكون هي التي، دون سائر أخوانهم من الكرد المسلمين، تنكشف اليوم لأعين التأريخ عن وجه الكرد الصحيح؛ ذلك ان ننظر فيها نظرة العرقية، مجردة عما انساق له سواد الاكراد، خلال التاريخ، من عواصف التيار الديني الذي، باسم الإسلام، راح يكتسح في الشرق خصوصاً، شتى الأقطار والشعوب والمذاهب الدينية عند ظهوره، بما في هذه عبادة النار أو تكريمها على مذهب زورواستر. وقد كان الكرد عصرئذٍ في من دان من الأمم بديانة العرب الفاتحين وأندمجوا بهم سياسياً، بإندماجهم بهم في الأسلام، حتى فقدوا، او كادوا يفقدون، عنعنة القومية فيهم والحس الوطني، إلاّ منهم من ظل محتفظاً، ولو في قليل او كثير من النسخ والتشويش تزيد فيه الأيام ونوب الدهر والمذاهب المجاورة، بشيء من روح زورواستر وتعاليمه، وبطائفة من تقاليد الزورواسترية ومظاهر عبادتها.

هؤلاء هم بالحصر بعض الأكراد الذين عرفوا منذئذٍ باليزيدية، أحفاد الأكراد من أبناء الزورواسترية وحراس هياكلها الذين، في سبيل الحفاظ على قوميتهم، آثروا،

تجاد الذي نكبت به بلادهم من حرية مسلوبة وسيادة ضائعة وإستقلال مفقود، أن يتمسكوا من الكردية بما يساعدهم على الزمان في صون روحها نقية قوية لم يفتأوا يؤمنون بحيويتها، تحت ستار من التضامن الديني آشتهر بأسم اليزيدية وكانت أصوله راسخة ولما نزل في تربة كردستان أو بلاد مادي، مهد الزورواسترية. هؤلاء هم الفئة الكردية الوحيدة التي، اذا إنتهى أحدهم من الصلاة، دعا الى الله قائلاً: «أرفع العرش وخذه الى كردستان!» –صلاة عند اليزيدية قديمة يعقل جداً ان تكون من نفس الكردي اليزيدي المتالمة صدى يتردد في طياتها مراراً في النهار، منعشاً فيها روح الأمل بإستعادة ما فقدت كردستان يوماً من حرية وسيادة واستقلال.

هذا هو شعور اليزيدي المتبلور في صدره، ازاء ما فقدت بلاده وقومه، وازاء ما يتوقع لها موقناً في داخله: بينما اخوه الكردي المسلم قد ضاعت عليه اجيالا أو كادت، مثل هذه العاطفة، اذ أخذ بنوع من سحر المعتقد يجمع في دفتيه، بين الدين والسياسة.

على هذا النحو ترى اليزيدي الذي، في تمسكه ببعض التقاليد من مذهب زورواستر الظاهرة، كالزي الأبيض في الاعياد الدينية أو سواه، لايختلف عنه في التمسك بروح زورواستر القومية الوطنية تمسكاً جاء نتيجة العقيدة والأيمان دون أي إعتبار آخر، كالنظافة وماشاكلها، انك لترى هذا اليزيدي الكردي يتفق واخاه المسلم الكردي في أمور شتى تذكره بماضيه الديني المتباعد فيراه –وأخوه المسلم العادي لا يكترث أو قلما يكترث لمغزاها الصوفي في القومية وايحاءاتها الروحية في الوطنية والإستقلال– وهو يود من صميمه، والنغصة على سويداء قلبه، لو تنفتح السموات وتنشق الارض عن رسول أو نبي أو مصلح أو قائد أو مشترع يتم له ما تمَّ لمثله من أنظاره أولاء فيوفق في الجمع بين عناصر الكردية المتحفزة، لعله، والأيام قد تكون مؤاتية، تتحقق لها، في عهد الديمقراطيات الظافرة، امنية لم يفتأ اليزيدي مدى الأجيال يقاسي في سبيلها العسف والارهاق والاضطهاد والمجازر، دون ان يخمد له نفس ويهن ايمان ويذبل امل: هي أمنية العودة بالسلطان الى بلاده كردستان.

أما الذي نوهت به، مما يتفق فيه حول آثار الزورواسترية كل شعوب الأكراد بمن فيهم اليزيدي والمسيحي والسني من الإسلام والشيعي، فهو من العادات والأخلاق مثل مايلي:

ترى هؤلاء يؤثرون تسمية أولادهم «هرمز» وكثيراً ما تسمعهم يقولون: «هو جميل مثل هرمز! وهرمز على ماهو معلوم من ديانة زورواستر الثنائية، اله الخير فيها. ثم هم غالباً مايتبادلون هذه التحية: «اسلم عليك باسم إله النور!» –أي النار، رمز الاله هرمز. وهذه الآثار الباقية من تقاليد الزورواسترية ما بينهم أغلب ماتلمسها في الأوساط النازلة بالمنحدرين، العراقي والإيراني، من جبال كردستان، مثل «سرحدان» على حدود المملكتين. كذلك الامر في مايتعلق بعمل المداخن: من عادة القرويين أن يستعملوا المداخن؛ ولهذا قلما تجد بيتاً في قرى الجبال وليس فيه مدخنة. والشرط الأساسي في صنع هذي المداخن، ان لاتكون معوجة، بل ينبغي ان تكون من الإستقامة بحيث يصعد اللهب فيها ويخرج الدخان من جوفها مستقيماً الى فوق؛ وذلك عن شعور ديني عميق يقضي عليهم بإحترام للنار متوارث، أقل ما يمكن أن يقال فيه –وليس للنار، على مايعلم الجميع، ادنى منزلة في الاسلام دينية– انه بقية حرص الأكراد عليها، ولاسيما اليزيدية، بالرغم مما أصاب المذهب الزورواستري من اندحار في وجه المسيحية والإسلام على الخصوص.

الخلاصة ان النار لدى الشعوب الكردية، وخصوصاً منهم جماعة اليزيدية، موضع احترام وتكريم واجلال بالغ، كما انها، في عين الوقت، رمز الرفاه وعنوان العمران والرخاء؛ يعتقدون بذلك – خلافاً لسائر الشعوب الذين قد يرون في النار والنور والحرارة مثل هذا– وهم مدفوعون بشعور خفي وقوي، متأصل من نفوسهم تأصل الروح في البدن: انه لايجوز للفرد منهم أن يبصق مثلاً فوق النار، لا لسبب في الاساس الا حرمة للنار. بل تعثر في «درسيم» بتركيا، او في أماكن اخرى من بلاد الكرد، من اذا اراد الطلاق حلف بالنار؛ وهذه الظاهرة عند اليزيدية ابين منها عند سائر الأقوام الكرد. ان النار مقدسة لديهم؛ فإهانتها أمر فظيع، والحلف بها يوجب على صاحب اليمين العمل بيمينه.

والأغرب هناك ان الطلاق ربما جاء نتيجة إهانة موجهة الى النار، بطريقة أو بأخرى، كالبصاق عليها قصد الاهانة! هذا الى ما يتبين لك من احوال أخرى لا تتوفق في معرفتها بغير التجوال في ظهرانيهم، حيث يدهشك ان تعلم بأنه، في بعض الأوساط هنالك، لايجوز للرجل ان يتزوج بأكثر من واحدة، الا اذا كانت أمرأته عاقراً! هكذا كانت الحالة قديماً في دين زورواستر – زورواستر الذي أنبتته تربة القطر الكردي منذ نحو من ثلاثة آلاف سنة، والذي يمكن، في كثير من الحق، ان يعتبر نبي الأمة الكردية قبل ما اسلم منها من أسلم.

يعتبر اليزيدية عند الإسلام من الد الأعداء[٢٧]. وقد طالما أضطهدتهم دول الشرق الاسلامية على مدى الاجيال، وعلى الخصوص حديثاً في عهد الأتراك العثمانيين. وهو أمر لايخلو الآن، في القرن العشرين، من أثر حتى عند البعض من حكومات الإسلام المجاورة عينها. وهكذا الأكراد من المسلمين أنفسهم؛ فانهم كثيراً ماكانوا يناهضون اليزيدية في مامضى، مدفوعين على الأغلب بروح السياسة العثمانية، فكانت لذلك وقائع وحروب ومذابح راح فيها، ضحية ذاك التعصب المكروه، آلاف اليزيدية الذين كانوا لا يرهبون شيئاً ولا كانت تغريهم مواعيد في سبيل الحفاظ على كيانهم وديانتهم.

قصً عليَّ احدهم –احد الأكراد النابهين من سلالة الأمراء الكرد العريقة التي كانت، في عهد السلطان سليم العثماني وما بعده حتى الى زمان من هذا العهد، تحكم منطقة «البوتان» في جهات جزيرة ابن عمر اليوم – لقد قص علي هذا الكردي النابه حادثة رائعة جداً جرت، منذ مايقارب المائة سنة، لواحد من أجداده الأمراء، يوم كلفه «الباب العالي» في الاستانة ان يغير على من كان من اليزيدية في جواره، للتنكيل بهم ولإكراههم على الاسلام، اذا استطاع الى ذلك سبيلاً . الى ان قال محدثي : «وكان قد وقع اسيراً في ايدي رجال الامير، احد رؤساء اليزيدية من جبل سنجار . فلما جيء بهذا الرئيس الى خيمة الامير، عرض عليه هذا ان يأخذ بالاسلام ؛ فرفض هو اولاً وثانياً وثالثاً، حتى عيل صبر الامير فاستل سيفه يقطع به ذراع الاسير اليمنى وكان يمسك بها، وهو واقف، احد اعمدة الخيمة . فلم يكن من اليزيدي، وقد بترت يمناه، الا ان رفع اليسرى يمسك بها ثانية عمود الخيمة،

وكأنه لم يحدث هناك شيء مما كان فلم يسع الامير، ازاء تلك الشجاعة، الا ان ابدى اسفه وامر فضمد جرح غريمه اليزيدي، واكرمه واطلق سراحه وعاد ادراجه الى حيث كان، بعد ان قطع المواثيق على نفسه، بالمحافظة على اولئك الجيران الشجعان من ابناء جلدة الاسير الباسل، اخوة الاكراد بالدم . بمثل هذا الروح القوية العالية، بمثل هذا التمسك اليقيني بالعقيدة والمبدأ، بمثل هذا النوع من نكران الذات في سبيل القومية والوطنية، بمثل هذي المظاهر الرائعة من كبر النفس والشجاعة والشمم، تمكن الرئيس اليزيدي في حالة اسره، من ان يكتسب اعجاب ابن عرقه الكردي المسلم، ومن السيطرة على عواطفه، حتى اتخذ الامير منه اقرب الاصدقاء، ومن اخوانه اليزيدية، اكرم الجيران واعز الاخوان».

والحقيقة ان في اليزيدية من الخصال الكريمة والاخلاق الفريدة ما من شأنه، رغم الذي هو عليه مذهبه المختلط المختبط من غريب المتناقضات في المعتقد والعادات المتصلة به، ان يجعل منه نسبة الى من بجيرته من عشائر الاعراب المتبدية في شمال سوريا والعراق، شخصية من حقها ان لا نبخسها التقدير والاحترام، على ما فعل الامير الكردي منذ قرن او يزيد . والجدير بالذكر في هذا شأن، ان كلا الطرفين اليوم، الكردي اليزيدي والكردي المسلم على السواء، اصبحا، في عهد القوميات الاخير – على نحو ما صار اليه منذ نهاية حرب ١٩١٤– ١٩١٨ كل من المسيحي والمسلم الكردي – وليس ما بينهم، على تفاوت المعتقد في الدين، ما يحول دون التفاهم التام يسعون له على اساس من رابطة الدم متين، لا بد من ان يقوم عليه اليوم أو غداً، صرح الكردية السياسي في المنطقة المعروفة عند الخبراء العسكريين حديثاً، بالمثلث الحربي أو الستراتيجي(٢٨)، بين إيران وتركيا وسوريا والعراق والقفقاس.

قد سردت حتى الآن، بعض الآثار التي يستدل بها على أن الكردي عموماً كان، حتى العصر الاسلامي، يدين بالزورواسترية(٢٩)، وان اليزيدي أبلغ تأصلاً في كرديته وبديانة «زورواستر» الكردية، وان في اليزيدية اليوم شكلاً من هذا المذهب الذي كان فيه قبلاً للعنصر الكردي بعض الامتيازات الخاصة، مما لم يكن لأبناء عرقه من الماديين والفرس، وان ما كان مستحكماً منذ الفتح العربي حتى العصر

الاخـيـر، مـن شديـد الـعـداء بين مـخـتـلـف الأقـوام الـكـرديـة مـن مسلمين ويـزيـديـة ومسيحيين، قد زال تمـامـاً أو هو فـي طريق الزوال، وان جميع هذه العنـاصر المتـآخية في العرق والمعتقد القديم قد بـاتت تشدهـا الآن، بعضهـا الى بعض، وشائـج صلبة من روح القرابة والنزعة القومية والمصلحة الوطنية، وان هذه الأخيرة شرع الكل يدركون، خلال الفترة المنقضية بين الحربين العظميين الأخيرتين، إنهـا كـانت ولاتزال ولن تزال نـافرة لا تـأتلف في شيء مطلقاً مـع المصلحة والقومية والوطنية الـعـربـيـة، فـضلاً عـن الـتـركـيـة والأيـرانـيـة مـنـهـا، وان خـيـر مـا يمكن أن يـعـمـل لـه المخلصون بين هذه الشعوب والدول كـافـة، ان تنصرف كل أمـة منهـا للعمل على حدة في سبيل بلادهـا، بنـاء على مـا اوحت بـه «براءة الأطلسي»، دون ان تحلم بعد أحداهـا بمطامـع استعمارية واندمـاجـات عنصرية وتوحيدات سيـاسيـة مهمـا كـان نوعها ودرجتها، لاسيما انها شعوب وأمم ودول في هذا الشرق الأدنى والأوسط، لما تستكمل حيـاتهـا الخـاصة، لا في الميدان الثقـافي ولا الاجتمـاعي والإقتصـادي ولا السيـاسي.

هذا مجمل مـا أشرت اليه في الكلام على اليزيدية، أحد الأقوام الكرد الاقحـاح، وهـم – وان كـانـوا، بوصفهم يزيدية، قليلي العدد في الشمـال السوري– فـانـهم، بوصفهم أكراداً يؤلفون والأكراد المسلمين والمسيحيين وحدة عنصرية وقومية واجتمـاعية مستقلة، لذوو شأن يذكر في تقرير المصير السيـاسي المقبل، بين المثلث الحربي الذي يأهلون، وسـائر الاقطار التي يجـاورون.

الأكراد في لبنان الجنوبي

كنا نود ان نقف الآن عند هذا الحد من البحث الاجتماعي حول الأكراد في لبنان وسوريا. لكن، قبل إختتام الكلام، نرى لزاماً، وقد وصلت الينا مؤخراً بعض المعلومات، ان نقول كلمة في طائفة من الكرد بلبنان الجنوبي، يعرفون هناك بمشايخ آل صعب، او بالصعبيين على الإطلاق، ومنهم بگوات آل الفضل في النبطية.

ان أول ما يتبادر الى ذهن البعض من سكان هذه البلاد، ولا سيما غير المحمديين منهم، ان الكرد هم من مذهب السنة دون غيره في الاسلام. وهو خطأ قد تجد له عذراً في الجهل الذي هم عليه هؤلاء البعض، فضلاً عن ان السواد من القوم الكرد يدينون اليوم من الإسلام بمذهب السنة على العموم، فيظن سواهم من عامة الناس على الأخص، ان ليس من الأكراد من هم على غير السنة. على ان الصعبيين أولاء(٣٠) من مذهب الشيعة شأنهم في ذلك شأن كثير غيرهم من اقحاح الأكراد في كردستان الجنوبية على الخصوص. والمفهوم في هذا الباب ان الشيعة لم تكن في الأصل مذهب الأجداد الصعبيين، وان هؤلاء -سواء كانوا، على مايدعون هم وعلى ما يحققه العلامة الشيخ «أحمد رضا»، من سلالة صلاح الدين نفسه أم تحدروا في الأولى «من احد خاندنات الأكراد الذين رافقوا صلاح الدين في حملاته»، كما يزعم صاحب «العقد المنضد»، شبيب باشا الأسعد -لم يكونوا، قبل نزولهم بجبل عامل، من مذهب الشيعة على مايبدو، بل اخذوا به لضرورات في السياسة محلية، رأوا معها ان مسايرة أهل البلاد الذين يحكمون، ايسر عليهم، اذا شاركوهم في المذهب. وهكذا، على ما يؤثر عن لسان فايز بك الفضل، نرى الصعبيين ومن اليهم من آل الفضل، قلما يأبهون على العموم لما يستجد عادة لدى «متاولة» الجنوب من الفكر والحركات على الجملة، على ما كان من ذلك مثلاً في الحركات السياسية التي نشبت في اطراف جبل عامل، عقب حرب ١٩١٤-١٩١٨.

ومهما يكن من أمر هذه الحقيقة، فان جد العائلة الأول، المسمى «بهاءالدين»، قد

انجب ثلاثة أولاد كان «علي» أكبرهم. وعلي هذا هو الذي لقب بلقب «صعب»، حتى غلب ذلك على من عرف من هؤلاء القوم بالصعبيين في أماكن شتى من الجبل -جبل عامل، حيث تجد اليوم منهم، فضلاً عن النبطية، في المروانية والبابلية وأنصار وزفتا ودير الزهراني وكفر رمان، قرى بات الآن أكثرها في ملكية سواهم، الا البابلية؛ فانها لما تزل ملك آل الفضل المقيمين حالياً في بلدة النبطية.

وبينا أكثر الصعبيين، وعددهم زهاء المائتي نفس، قد أمسوا وأغلبهم ضعفاء الحال على شيء من العوز احياناً، ترى آل الفضل؛ وهم لا يتجاوزون العشرين عداً في بيوت ثلاثة محصورة في قصبة النبطية، أوسع نفوذا واغنى ثروة واوجه مقاماً، حتى عد بين البارزين منهم في هذا العصر أفراداً معلومون، مثل نعيم بك وأخوه محمود بك، جد النائب والوزير السابق، محمد بك الفضل، ثم فضل بك والد بهيج بك النائب اللبناني السابق ورئيس بلدية النبطية في الحال وعم الوزير من زوجته؛ وكلهم في النبطية بعينها. وآل الفضل هؤلاء لا ترجع شهرتهم بهذا الأسم الى وقت بعيد؛ بل الى جد الوزير المومأ اليه، والذي هو ابن فايز بن بك محمود بك بن حسن بك بن فضل بك.

نزل الصعبيون، اول ما نزلوا من جبل عامل، بلدة النبطية؛ وهي هناك حاضرة المنطقة المعروفة بناحية أو «بلاد الشقيف». وقد حكموا هذه المنطقة حكماً إقطاعياً دام حتى ولاية الجزّار؛ أما ان هذا الحكم تم لهم هنالك فور قدومهم، أم انه أنقضت مدة حتى أستقام لهم، فهذا ما يبدو، في تأريخ الاسرة، غير مقرر تماماً حتى الآن. وليس القصد هنا أن نلم بتطورات السياسة التي مّرت بهم في التفصيل؛ لذلك عزفنا عن التحقيق في هذا الأمر الى إشارة لابد منها في موضوع هذي التقلبات:

ذلك ان جبل عامل نشبت فيه، في عهد أحمد باشا الجزار، أحد ولاة الأتراك العثمانيين الأفذاذ في ساحل المتوسط - الافذاذ في مساوىء الحكم على الخصوص، حركة عصيان جاءت نتيجة ما شجر يومئذ بين الوالي وزعماء الجبل الأقطاعيين، من أسباب الخلاف الذي تطور وأتسع، حتى أنتهى بهم الى إعلان

التمرد على حكومة الأستانة، او بالأولى على الباشا السفاح، ممثلها في عكا؛ وقد كان بين أولئك الزعماء، مشايخ آل صعب أيضاً. ويظهر في ذلك، ان هؤلاء كانوا من جملة من نكبوا بقساوة الجزار وظلمه وجشعه، حتى قدّر لهم أن يغتربوا مطرودين عن وطنهم، حيث لوحقوا وصودرت املاكهم، في نحو عام ١٧٨٠. ولما كان الصعبيون لم ينفكوا يُعرّفون أنفسهم بأنهم من اصل كردي، تيمموا، في هربهم من وجه الوالي العنيد، شطر عكار من لبنان الشمالي، حيث التجأوا في كنف المراعبة أنسبائهم، من ظلم الباشا. وقد ظلوا هنالك، مقيمين بدار خاصة في «عكار القديمة» تعرف حتى الآن بـ«دار العشائر»، حتى ذهبت ريح الجزار الخبيثة، وخلفه في ولاية عكا، عبدالله باشا الذي امر فرجع زعماء الجبل المختفين الى مواطنهم، بمن فيهم مشايخ آل صعب. وقد كان ان ما أعتاض به هؤلاء عما فقدوا، ناحية «الشومر» في جبل عامل نفسه، يأخذون أموالها الاميرية ويتملكون منها، على الطريقة الأقطاعية، ما آتتهم على ذلك ظروف الزمان، فكانت إقطاعية أكثر أملاكهم فيها.

ذلك ولا مندوحة لنا من التنويه بأن الصعبيين كانوا، مدة حكمهم في بلاد الشقيف، أي قبل فرارهم من وجه الجزار، قد اقاموا، ردحاً من الزمن، بالقلعة القديمة المشهورة هناك والمعروفة عند سكان البلاد بأسم «قلعة الشقيف»، وفي كتب التاريخ الأجنبية خصوصاً، بـ«قلعة بلفور».

أما المشهورون من المشايخ الصعبيين في العهد الأقطاعي، فمنهم الشيخ علي الفارس؛ واليه ينسب الفضل في كسب الواقعة المعروفة بـ«معركة كفر رمّان»، حيث كانت في قيادته، جموع العامليين اثناء الفتنة التي نشبت بين هؤلاء ولبنانيي الجبل، وكانوا في قيادة أحد الأمراء الشهابيين. ثم من مشاهير الصعبيين في ذاك العهد، حسين بك الشبيب، الذي أكثر ما كانت شهرته بالشجاعة.

هذا الآن ما يتاح لنا تسجيله حول الأكراد في جنوب لبنان، ولعل فيه بعض الفائدة.

عودة على بدء

لقد مَر بنا الكلام على الأكراد في لبنان الشمالي -بعكار وطرابلس. لكن، وقد قيض لنا الوقوف على بعض المعلومات التي تكرم بها علينا حضرة الأستاذ ديب، ابن عكار من جهة وأحد العارفين البارزين بأخبارها وأحوال أهلها، لايسعنا، مع الشكر نمحضه إياه على هذه الخدمة يتناول فيها الأكراد المراعبة معاً والصعبيين، الا التريث والروية، ناظرين في هذه المعلومات الجديدة نظرة إعتبار يجدر معها، بعد التحقيق، الكثير من القناعة بأنها واقعة: على انها، في التفاصيل خصوصاً، ذات قيمة تستحق التقدير والقبول:

لقد ذكرنا، هنا وهناك، في معرض الكتابة حول الأكراد بعكار، قولنا: لحلحيذكرون -أي الزعماء الكرد- انهم، ومن دونهم من الفلاحين، قد جاؤوا يوماً من تركيا، أو شرق الأناضول، لأسباب لايعلمون حقيقتها ويقدرون انها لاتتعدى بعض الخزازات أو المناوشات بين هذه العشيرة أو تلك، ان لم تكن في الحقيقة اسباب هناك سياسية حملت حكومة الأستانة يومئذ على ابعاد اجدادهم الى هذه المنطقة»: كما يستفاد ايضاً من سياق الكلام عليهم، ان «الفلاحين» هنالك، «الا القليل ان صح مايقال»، هم، ومن اليهم من «الأثنتي او الأربع عشرة عائلة» من الزعماء الأغوات والبكوات الأقطاعيين، «من أصل كردي» -نقاط اربع أوردناها سابقاً في كثير من التحفظ ونوجزها الآن، طلباً لتمحيصها، فيمايلي:

أولاً ـ ان معظم العكاريين ـ بمن فيهم أصحاب الأملاك والفلاحين من المحمديين طبعاً هم أكراد؛ ثانياً ـ ان أصحاب الأملاك من الأقطاعيين هؤلاء لاتتجاوز عائلاتهم، الأربع عشرة عداً، أي، ان نعتبر معدل العائلة أو البيت الواحد خمسة أنفار، نحو سبعين نفساً؛ ثالثاً ـ ان السبب في مجيء جميعهم مبعدين الى هذه البلاد، كان ناجماً اما عن اسباب قضت بها سياسة العثمانيين الادارية، واما عن مناوشات قبلية بين العشائر؛ رابعاً ـ ان الموطن الذي نزحوا عنه هو تركيا،أو شرق الأناضول.

والذي ندلي به الآن، بناء على التحقيق الجديد، ان معظم الأهالي المسلمين، -

فضلاً عن غير المسلمين- من فلاحي أصحاب الاقطاع الكرد في عكار، إنما هم في الأولى من غير العنصر الكردي: وان عدد هؤلاء الزعماء الإقطاعيين هناك، إنما يناهز، على وجه التقريب، نحواً من ثلاثة آلاف نفس: وانهم جميعاً إنما تحدروا من نسل «مرعب»، الجد الأول الذي قدم عكار حوالي ١٧٥٠، هو ومن رافقه من الفرسان الأكراد، وعددهم سبعون، حين جاؤوا بأمرته، بناء على تدبير إداري لجات اليه الأستانة في ذلك العهد، ليس تأديبياً لهم ولا تخلصاً من شرهم، بل تأديبا لأمراء آل سيفا الذين كانوا، وهم سادة عصرئذ، غالباً ما يمتنعون عن دفع ماعليهم من الجزية لخزانة الدولة، والذين، من حين الى آخر، لم يكونوا ليحجموا، اذا آتتهم الظروف، عن سلب ما كان يمر بعكار من الأموال الأميرية المرسلة الى حكومة الباب العالي؛ ثم ان تركيا، أو شرق الأناضول، ليس الموطن الأصلي الذي عنه نزح هؤلاء الكرد، بل هذا الموطن، هو جبل الأكراد في منطقة حلب - الأسكندرون.

كل تلك تدقيقات نعلم منها أيضاً ان «مرعب» هذا قد مد السلطان اليه يومئذ يد المعونة، مساعداً اياه على «السيفيين» مساعدة أفضت مع الأيام الى إذلال هؤلاء والى زوال سطوتهم في ناحية عكار، حيث أحتل هو ورجاله السبعون، محل «آل سيفا» نهائياً وامتلكوا بالقوة، على الطريقة الاقطاعية، وبمؤازرة الحكومة ضمناً، أو علناً أحياناً، أطيب ما في عكار من الأراضي الخصبة التي لايزال منها حتى اليوم، قسم كبير في أيدي أحفادهم -هؤلاء هم «المراعبة»، نسل «مرعب» الكردي الأصل، دون ان يكون في عكار من الأكراد، من قد يظن البعض فيهم أنهم، خلافاً لما عرفناه من ذلك في صدد الصعبيين في الجنوب، من سلالة صلاح الدين نفسه، او بعض رجاله. وهذا الاصل الكردي العام الذي يجمع، دون أن يمر مباشرة بصلاح الدين ورجاله حملته، بين الكرد في جبل عامل وابناء جلدتهم في عكار، هو الذي، في واقع الحال، شجع أولئك على طلب الحماية عند هؤلاء، هرباً من مطاردة الجزار، كما رأينا آنفاً.

ان مركز المراعبة في الشمال ونفوذهم فيه، ارسخ منه عند الصعبيين في الجنوب؛ ذلك لأن البكوات المراعبة لما يفتأوا اصحاب ثروة في الأملاك أوسع جداً، على ما نعلم، من أبناء عمهم هؤلاء، المشايخ الصعبيين، بمن فيهم بكوات آل الفضل في النبطية. على ان اولئك في عكار اغنى وانفذ من فيها من اصحاب الاملاك على الاطلاق.

والبكوات المراعبة انفسهم على وجهين، من ناحية الغنى والعدد : على ان المناطق المقيمين بها الآن، تنقسم هي ايضا الى قسمين او ثلاثة – القيطع الذي، على ما يظهر، يضم العدد الاكبر منهم، ثم الدريب والجومه . ولعل لبنان لم يشهد، او قلما شهد من العائلات من كثر عديدها كالمراعبة . وغناهم في الدريب والجومه، بل في الجومه وحدها، اوسع منه في القيطع . الا اذا اضيفت الى هذا، املاك عبود بك عبد الرزاق في صافيتا بالعلويين . والنفوذ الاول هو اليوم في الاولى لبگوات القيطع من المراعبة طبعاً .

ليس من المراعبة من يعنى بالمهن والفنون والحرف والعلوم . لذلك ندر وجود المثقفين بينهم تثقيفاً مدرسياً عالياً او متوسطاً : الا اللهم ان نستثن بعض الافراد الذين يعدون فعلاً على الأصابع، مثل النائب الحالي، محمد بك بن عبود عبد الرزاق –وثقافته لاتينية فرنسية يقال انه حامل فيها شهادة الحقوق، والأخرى في الأختصاص بالزراعة؛ كما ان منهم أيضاً بعض الأطباء –وهم ثلاثة، وبعض خريجي الحقوق –وهما اثنان على مايبدو، من حملة المأذونية فيها. ان المراعبة على العموم هم فقراء علماً قدر ما هم أغنياء أملاكاً.

أما المسكن الذي حل به نهائياً أجداد المراعبة في الشمال، فهو، بعد تنقلات لجأوا اليها مدة من الزمان، برج عكار في الجومة، أو عكار القديمة، أو، على الأطلاق، عكار –البلدة.

يؤثر عن السلطان عبدالحميد، انه كان، ازاء المراعبة هؤلاء، ذا عطف خاص حمله على تقديم مكتبة ذات قيمة، خصصها للمدرسة التي كان أنشأها لهم في قرية مشحا بالجومة. وقد أمست هذه المكتبة وأكثر ما فيها من الكتب موزع هنا وهناك، بينا المدرسة نفسها قد اقفلت أبوابها، مع ان البناية لاتزال على حال لابأس بها.

حكم المراعبة في عكار أكثر من مائة سنة. ونقصد هنا بالحكم أنهم كانوا في البلاد أصحاب الحل والربط، يكرهون الحكومة عموماً على اقرار ذلك لهم اما ضمناً على الاغلب، او بما يشبه العلن في النادر، علماً منها بأن الخلاف، او محاولة الخلاف، امر يصعب عليها تحقيقه، على وجه دائم ومستتب، بيد اننا، ان نفهم بهذا الحكم معناه الأوسع، فقد طالما كان المراعبة في عكار مستقلين بالنفوذ لاينازعهم

فيه منازع، حتى الباشا، ممثل السلطان الذي قلما كان يقدم على امر يتعلق بمنطقة نفوذهم، دون إستشارتهم والأستيثاق من رضاهم، على نحو ما كان يجري يومئذ، حتى العهد الدستوري في الأستانة، في جميع أنحاء السلطنة. وبينا كان جبل لبنان، في معظم كسروان على الاقل، يناهض علناً وبالسيف، طبقة الاقطاعيين من حكامه، كانت عكار، في تلك الحقبة عينها - منذ منتصف القرن الماضي، لاتزال راسفة في قيود الاقطاعية الحادة. بل قلما اثر ذاك العهد الدستوري في هذا الوضع من اقطاعية عكار. اما الآن، او منذ ما بعد ١٩١٨، فان الحالة هناك قد تحسنت نوعاً، بالنسبة الى غير الفلاحين على الاقل، ممن ليسوا من مزارعي البگوات من عامة الشعب . وقد تكون عكار اليوم من اشد المناطق اللبنانية تأخراً في المدينة، ان لم تكن أشدها.

من مشاهير المراعبة اللامعين، علي بك الأسعد والسيدة جلول: ذات الشأن والخطر مدة حكمهما. وتروي عن السيدة جلول هذه، شتى النوادر.

ثم منهم جديد بك، الملقب بأبي طبلة: وهو الذي كان، اذا تنقل في البلاد من موضع الى آخر، دقت الطبول أمامه، تنبيهاً للسكان ليتأهبوا لملاقاته والأحتفاء به. منهم أيضاً محمد باشا المحمد، جد عبود بك عبدالرزاق، أبي النائب الحالي، محمد بك. ومما يؤثر من الحديث عن عبود، في صدد جده هذا، انه، أي محمد باشا، اهدى الى السلطان عبدالحميد الف تنكة سمن!؟ بل ينسب اليه الحكم. على انه، مهما يكن من هذه النسبة، فلا أقل من أن تعني أنه كان في عهده صاحب نفوذ بعيد وهيبة بالغة.

ومما يحكي عن علي بك، انه زاد ماء السمُّونية - قرية كان يملكها في ساحل عكار، واكثرها اليوم ملك أهل منياره - «سبعة اثلاث»؟ ثم كان هو معاصراً للأمير بشير الكبير في جبل لبنان، وكان فيهِ لشاعر هذا الأخير، بطرس كرامه، مدائح عدة، من جملتها قصيدة يصف له فيا معركة جرت بينه وبين أهل الحصن وصافيتا من بلاد العلويين؛ وذلك عند قرية هناك تعرف باسم شاص. ومحمد باشا المحمد هو الذي، في يومنا، أكثر ما يفاخر به، على الأقل لدى البكوات من أهل بيته، مثل عبود بك وأبناء عمه منه. وهؤلاء -خلافاً لأبناء عمهم الأبعدين، أحفاد عثمان باشا الذين يقطنون في الأولى قرية ببنين -أنما يقطنون هم في دورهم، في بيرقايل

على الأغلب: وكلتا القريتين كانت، أيام محمد باشا، مقر سكناه على التوالي: ذلك مما يذكر في هذا الشأن.

أضف الى ببنين وبيرقايل، عيون الغزلان بالقطيع، حيث يقيم فقط مراعبة من فرع محمد باشا المحمد، يكن لديك ثلاث قرى لايأهلها من العكاريين سوى البكوات من آل مرعب: بينما سائر الأوساط من البلاد، حيث تلقى بگوات - مراعبة أو غير مراعبة، هي خليط من الأهالي والبگوات.

ذلك وغير المراعبة في بلاد عكار، صنف آخر من البگوات آخر يدعون هناك بـ«المعيطات» وهم أيضاً من اصل كردي يلوح انهم هم أنفسهم يجهلون الموطن الأول الذي هاجروا منه؛ كما انهم لايعلمون تاريخ هجرتهم ولا الاسباب الحقيقية التي حملتهم على الشخوص الى عكار. الا ان هناك مايرجح الظن معه بأنهم قدموا الى لبنان من جبل الأكراد في شمال سوريا الغربي، مثل ابناء جلدتهم آل مرعب. ومركز المعيطات من عكار اليوم، هو في الأولى قرية العيون بالجومة، ان لم يكن بالقطيع، في مجدلا حيث بيت كنجو باشا؛ وهم، على ما ترامى الينا، أصحاب الأملاك هناك، لايعنون بغير الزراعة، شأنهم في ذلك شأن السواد الأعظم من المراعبة.

فلا غرابة في أن يظلوا على روح الرجعية، دون أن يكون مابينهم نصيب لأسباب المدنية والثقافية العصرية. وهم في النفوذ لاتكاد كلمتهم تتعدى نطاق المحيط من موطن إقامتهم؛ فلا مجال لهم من ثم لمنافسة البگوات من آل مرعب.

وقد أشتهر من المعطيات كنجو باشا ومصطفى بك مراد الذي اليه يرجع الفضل في تركيز مكانتهم ورفع منزلتهم، بعد أن تمكن من الانتقال بنفسه من درجة آغا الى درجة بك التي لما تبرح متوارثة في بيته، بينا الآخرون من المعطيات مازالوا، من الوجهة الرسمية، على «آغويتهم»، ولو عرفوا، على قول أحد البكوات المراعبة، بلقب بكوات بين العامة.

وكذلك القول في من بعكار من صنف الآغوات: على ان هؤلاء على قسمين، أكراد وعرب. اما العرب منهم فلا يعنينا الآن ان نبحث في امرهم، بينا الأكراد -وهم أغوات وادي الجاموس بالقطيع، وأغوات الحويش بالجومة -نعلم انهم على شاكلة المعطيات في الأولى، وذلك من حيث الموطن الأصلي وأسباب الهجرة والأوضاع

الإجتماعية، ان لم يكونوا على درجة في ذلك أدنى من أولئك. بل قد يكون منهم، خلافا للبكوات من المعطيات، بعض المزارعين لدى المراعبة. بل قال أحد هؤلاء بأن هناك من الأغوات الأكراد، من هم من بيت مرعب.

هذا في عكار. وان نلق نظرة الى ماجاورها شمالا من بلاد العلويين، وجدنا ثمة، في منطقتي صافيتا و الحصن، من يقيم من البكوات المراعبة، بمثل القرى الآتية -زربليط، الحسنة، المشرفة، تل عدس. وهم فيها مثل ابناء عمهم في عكار. بل ان من هؤلاء من يملك، وهو مقيم في عكار، اراضي واسعة في العلويين. على ان كلتا المنطقتين كانتا، في العهد العثماني، مندمجتين اداريا: وهو مايفسر حالة الإختلاط القائمة اليوم بين الأملاك هنالك.

ليس من المسيحيين ولا من غير المسلمين السنة في عكار وماجاورها، من هو من أصل كردي، ولو كانت الأهالي عموماً من غير الأكراد. بل قد لاتجد في هذه المنطقة من غير البكوات، ولاسيما المراعبة، من يكون، الا عائلة مسيحية أو اثنتين، من اصحاب الأملاك الواسعة.

الخلاصة ان ليس في لبنان الشمالي من الاكراد غير البگوات -مراعبة ومعيطات - وغير فئة الأغوات كما رأينا؛ وكلهم من أصحاب الأملاك والأقطاع. الا ان الأغوات أكثر مايحرثون أراضيهم بأنفسهم، بينا البگوات، وخصوصاً من آل مرعب، اكثر مايحرث أراضيهم طبقة الفلاحين من أهل البلاد أنفسهم، بمن فيهم خصوصاً، المحمدي من العرب في الدرجة الأولى، سواء في السهل أم في الجبل، ثم بعض العلويين في بعض السهل، وعدد محدود من المسيحيين الذين، اذا عملوا عندهم أحياناً، فبمثابة شركاء في الأرض فقط.

هذا ما تمكنا من التدقيق فيه حول الأكراد بعكار، منتقلين منه الى كلمة لا مندوحة منها وصلتنا ايضاً في شأن من أسميناهم أولاً، بناءً على معلوماتٍ سابقة، بأكراد طرابلس. على أن هؤلاء- وقد هاجروا في عصر السلطان عبد الحميد العثماني، وهم، كما قلنا في حينه، جماعة من نزحوا عن جزيرة كريت الى الشاطيء السوري - ليسوا، ان تصح المعلومات الجديدة هذه، من اصل كردي؛ بل هم اتراك، على قول بعضهم، رفضوا العيش في ظل الراية اليونانية عصرئذ، فجيء بهم الى

حيث هم الآن، وأقطعوا القرية المعروفة بقرية المهاجرين، او الحميدية، الواقعة بين العريضة وطرطوس، على الساحل السوري العلوي. وهناك من يزعم ان المهاجرين هؤلاء ليسوا اتراكاً، بل في الأصل يونان مسيحيون وصلوا الى هذه البلاد وكانوا لا يزالون على مسيحيتهم، وانهم اسلموا تدريجاً. لكن الزعم الثاني قلما نراه معقولاً، والقوم انفسهم نراهم – وهذا منتهى الغرابة، وكأنهم لا يدرون شيئاً من حقيقة اصلهم؛ ذلك بان التدقيق بين حقيقة الجلاء عن الجزيرة لرفض الخضوع للسلطان المسيحي من جهة، وبين تمسك القوم بمسيحيتهم حتى عهد الجلاء، امر يظهر فيه من التناقض ما فيه؛ الا ان يكون اسلامهم في الجزيرة سابقاً فعلاً عهد الجلاء.

بل يتشبث البعض بإقرار كرديتهم، زاعمين انهم سلالة من أكرهوا، مع احد امراء البوتان الكرد، على الانكفاء في كريت بأمر من حكومة الباب العالي، خلال القرن الاخير.

ومهما يكن من هذا التناقض وما اليه، فانهم، في الوقت الحاضر، مسلمون سنيون؛ ومن منهم في مدينة طرابلس، ممن يقومون ببعض الاعمال الحقيرة والتجارات الصغيرة، كالمتاجرة بالبقر مثلاً وصناعة الدباغة...، فانهم على الأغلب محترفون صناعة القهاوي والمطاعم الشعبية ذات المستوى العادي او ما دون، مثل قهوة باب التبانة، وأخرى عند المسلخ على الجسر. وسكناهم في طرابلس، بباب التبانة، وربما في محلة السويقة تحت القلعة. وهم هؤلاء وليس اكراد عكار الذين يتعاطون مثل هذه التجارات والحرف والصناعات والاعمال الحقيرة هنالك. والظاهر ان مركزهم في المدينة، غيره في الحميدية موطنهم، كما انه، اذا انكر عليهم اصلهم الكردي، امكننا القول بأن ليس في الفيحاء سكان أكراد مقيمون، الا بعض البيوتات المعدودة.

وعلى ما تقدم، لم تكن هجرتهم من كريت مسببة عن «قلاقل واضطرابات»، كما نوهنا من قبل، بل فقط، على مايظهر، لأسباب دينية ربما لابسها، وهم بعد في الجزيرة، بعض المداخلات السياسية الادارية التي عجلت في قضية جلائهم. أما عدد المهاجرين هؤلاء فلا يتعدى الأربعة آلاف نفس، أو ما يقارب. وهو عدد يشملهم جميعاً، سواء في طرابلس أم في الحميدية عينها؛ على انهم، في هذه

الأخيرة، ملاكون على الأغلب، يعنون هم أنفسهم بعمل الحراثة في اراضيهم الخاصة، حيث تجدهم، ولو عثر على من يعمل منهم أحياناً في أراضي المراعبة، ذوي انفة على العموم وكرامة، لاتبذل فيها ولامهانة، خلافاً لما نراه من ذلك لدى عموم الفلاحين بعكار.

ذلك، وبينا نحن نشير في إختتام هذا البحث، الى ان أول مؤلَف(٣١) عربي كتب في علم الصرف والنحو الكردي، هو يوسف باشا الخالدي من القدس، ننتهز الفرصة فنطلب الى القراء الكرام، في ان يوافونا، اذا كانت لديهم بعض المعلومات الخاصة في شأن الأكراد بلبنان وسوريا، ربما يجودون به منها علينا، لعل هناك ما يسعنا مع الوقت تمحيصه بصورة أدق، لاسيما اذا كان في الذي يجودون، تدارك ما قد نكون وقعنا فيه من الخطأ في هذا الموضوع. وهم، على كل حال، مشكورون منذ الآن.

لقد نمى الينا، منذ حين، ان أمراء آل سيفا المعلومين، كانوا هم أيضاً من أصل كردي. وآل سيفا هؤلاء حكموا زماناً، كما هو مشهور، في منطقة لبنان الشمالي، لاعبين، في تاريخ لبنان، دوراً خطيراً أفضى بهم تدريجياً، منذ عهد المراعبة، الى الإنقراض. وقد كان في ودنا لو يسعنا الوقت والمجال، قبل نشر هذه الرسالة، لجمع ما لم ينشر بعد من تأريخهم، في ما يتعلق بعرقهم الكردي. ولعل ما لم نوفق له الآن، موفقون فيه غداً، في ظروف أكثر مؤاتاة.

وما قلناه في شأن آل سيفا، يمكننا أن نقول أيضاً، مع شيء من التعديل، في شأن آل جنبلاط الدروز في لبنان الحالي. على أن ما يزعمه بعضهم، هو انهم في أصلهم أكراد العنصر. وهو ما سنعمل على تقصيه ونشره في ظروف مقبلة، خصوصاً اذا مهّد لنا، من مثل هذا البحث الاجتماعي، ما قد لايقدره حق قدره من الصعاب والعراقيل، غير الكاتب نفسه، ومن قد يلجأ الكاتب الى الأستعانة به من أصحاب العلاقة انفسهم، اذ يأتيهم مستوضحاً، محض استيضاح عملي نزيه، فلا يهزون الأكتاف غير مكترثين ولا موجسين ولا متجاهلين ولا جاهلين، على نحو ما شهد من مثلهم، اثناء تجواله وتسآله، حول ما جمعه من هذه المعلومات المنشورة.

عسى ان لايجد شيئاً من ذلك، فيوفق، عند الحاجة، في تدقيق ما نشر، ولاسيما في جمع مابقي عليه جمعه، قصد النشر.

فذلكة(٣٢)

ثم اننا – ونحن في هذا البحث الاجتماعي، على ابواب الاوضاع السياسية التي تؤلف من علم الاجتماع جزءاً منها لايتجزأ –قد نكون، اذا اهملنا كل الأهمال وضع الأكراد القومي، جد مفتئتين على حقوق العلم وواجبات العلماء، عندما يتعمدون مثل هذا الإهمال متجاهلين. فهل يكون على الكاتب الأجتماعي من حرج، اذا اشار، في ختام بحث من هذا النوع، الى أن الأمة الكردية التي تعتبر في حق من أعرق أمم الأرض والتي تعد، كما رأينا، نحواً من تسعة ملايين نفس –أو مايعادل، في مساحة من الأرض لا تقل عن الخمسمائة الف كيلومتر مربع، مجموع سكان الجزيرة بما فيها الهلال الخصيب، هل كان على هذا الكتاب من حرج اذا اسف على الوضع السياسي الذي فيه يتقلب الاكراد اليوم على مضض، موزعين، كالاسلاب المنهوبة بين عشائر البدو في الصحراء، على ما جاورهم من الدول، حقاً ان لفي هذا التوزيع الجائر ما يستفز في المشاهدين المحايدين، ان كانت فيهم ذرة من الروح الديمقراطية الحقة، روح السخط والأمتعاض الشديدة، اذا لم تستنزف من مآقيهم عبرات ساخنات لابد لها، والعالم اليوم على عتبة مؤتمر السلام، من ان تنفجر امثالها –اقله عند الأكراد الواعين من عصر الحريات المشروعة هذا– حمماً تنقذف من اعالي كردستان، حيث رست قديماً سفينة نوح رمز الحياة والبقاء في وسط الملمات، حتى يتم بالسلاح لهذا الشعب السليم القوي، مالم يتم له بالرضى عن طريق المفاوضات وباسم الحق والعدل الاجتماعيين.

ان هناك، في هذا المثلث الحربي الكردي بين تركيا وايران والعراق وسوريا، ما يهدد سلامة الشرق الادنى، اذا لم يُنسخ من الوجود، ما جاء في معاهدة لوزان من المداورات والبنود التي نسخت في دورها منطوق معاهدة سيفر، حيث اعترف للأكراد بالدولة الكردية.

ان من مصلحة العرب – وألدّ أعدائهم في بلاد الرافدين من اليهم في ايران شرقاً، وأدهى خطر يهددهم في العراق وسوريا وما اليهما من مواطن العرب آتٍ من وراء

طوروس في الأناضول - ان ينبذوا ما لا يفتأ يخرص به بعض المتزعمين فيهم من رجال السياسة المرتزقين من غير العنصر العربي الكريم المتزن، فلا يقبلوا، والايام الآن غيرها في عام ١٩١٨، إلاّ بإحقاق الحق معترفين به كاملاً، عاملين على إنجازه تماماً، مستوحين فيه، فضلاً عن روح الكتاب الكريم المنزهة، ضمان السلامة تكفل لهم، في عصر التأسيس والانشاء، صداقة هؤلاء الملايين التسعة الذين يجثمون كالعقبان على مشارف دجلة والفرات، لايبغون، ان عمل العرب بما اثر عنهم من ماضي الحكمة والسداد والعقل والعدل، غير ان يمدوا اليهم في أيام المحنة متى ادلهمت، سواعد مفتولة تحصى بمئات الألوف ولا طمع لها - لقاء حفنة من ابناء جلدتهم نازلة بين اربيل والعمادية والسليمانية تعود الى الوطن الام -إلاّ في رد الصنيع بصنيع من نوعه، يلمس العرب معه، ما عدا المضللين منهم، شدة الحاجة اليه، وهم، ازاء الصهيونية العادية، قد طالما ناضلوا ويناضلون في سبيل بيضة الوطن العربي بفلسطين، ضد مشروع الوطن القومي الصهيوني المعلوم.

فهل هناك في بيروت أم في دمشق ام في بغداد، من تطاوعه نفسه منهم، فينكر على امة مثل الكرد، متكتلة بملايينها التسعة في رقعة من الأرض معلومة لا يأهلها من العناصر سواهم، حقها الطبيعي الصارخ في الحرية والاستقلال، بينا هو، في بلاد بيت المقدس، يجاهد في سبيل الإحتفاظ بموطن هناك عربي غير خالص في عروبته، خلوص الموطن الكردي في كرديته؟

مثل هذه الافكار والاعتبارات والآراء نرسلها عند الإنتهاء من البحث، لعلها تؤتي في الدرجة الأولى ولدى الاوساط العربية الخالصة التي نفتخر بأننا منها وفيها واليها، ثمرة من حسن التفاهم يانعة بين الكرد وجيرانهم من العرب، فينعم الطرفان بلذة طعمها، بينا الحسرة والمرارة لن تكونا إلاّ من نصيب الطامعين فيهم، سواء من الشرق أم من الشمال.

والاّ. فما الذي كان منذ اجيال بين العرب والأكراد مما يجوز الآن ان نقف عنده من التناحر والضغينة؟ ام ماذا دهى الأمتين من عداء وتباغض، وقد طالما كانتا

للعدو المجاور المشترك فريسة الغدر والطمع؟ ماذا دهاهما مما من شأنه ان يحول دون هذا التفاهم يحكم عراه بينهما الى الأبد؟ ان كليهما شعب ناهض يتطلع الى الأمام، خلافاً لمن جاورهما من الشعوب المسنة المنفسخة التي يبدو انها سائرة حتماً في طريق الأضمحلال، عاملة، بكل ما بقي لها من قوة، على سد الفوهة من هذا الأضمحلال الأكيد، بشعوب جدّد الدهر شبابها، ان في كردستان ام في الجزيرة.

فعسى ان لا يؤخذ العرب هذه المرة بسراب الأحابيل تنصبها السياسات المغرضة، فيصرفوا عن النظر الى خارج قطرهم، حيث يطمعون في اذلال الكرد وأستعمارهم وهم بعد لم يبرحوا في حال من التنظيم يعوزهم فيها اليد الصديقة المجاورة، الى داخل البلاد العربية ينقونها من بقايا العناصر الغريبة، ويتفقون مع تلك اليد، اذا نالت بغيتها من الحرية و السيادة، على المغرض معاً والطامع يتعاونان على اقصائه الى الابد، عن مقدس استقلالهم في وطن سعيد وادع، في وسعه ان يضع، اذا استتب له السلام، كل ما لديه من موارد الروح والعقل والمادة، في سبيل الحضارة والرقي البشري العام!

هوامش و ملاحظات

كتبها ووضعها فلك الدين كاكه يي - أواخر ٢٠٠٩

(١) يقصد الحرب العالمية الثانية التي انتهت سنة ١٩٤٥، ويبدو ان المؤلف (د. أديب معوض) كان يستشرف مستقبل مابعد الحرب واحتمال حصول تطورات سياسية في الشرق.

(٢) مجمل نفوس سكان كردستان قاطبة كان في سنة ١٩٤٥ حوالي (٩) ملايين نسمة. وكلما ذكر الملايين التسعة من الأكراد يقصد به ذلك العام.

(٣) ننقله نصاً كما كتب المؤلف عن (خليج فارس).

(٤) ننقله نصاً كما ذكر عن (العراق العجمي) وهو مجموع ولايتي بغداد والبصرة قبل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨. أما ولاية شهرزور (ولاية الموصل فيما بعد) فهي كردستان.

(٥) هذه الصورة القلمية عن خريطة كردستان الجغرافية في الشرق الأوسط، الممتدة من الخليج مروراً بجبال زاكروس الضخمة حتى العراق (العجمي) وهضبة الأناضول، قلما رسمها باحث أو مؤرخ كردي، فقد وصف الرقعة الجغرافية لكردستان (بلاد الكرد) وصفاً دقيقاً جميلاً، ويذكر في مكان آخر من بحثه ان مساحة كردستان تقدر بخمسمائة الف كم٢ في حين ان أكثر الباحثين الكرد طموحاً توقفوا عند رقم (٤٥٠) الف كم٢ كمساحة لها.

(٦) وضع المؤلف بحثه الإجتماعي طرحاً علمياً رصيناً فانطلق من الحقائق الجغرافية ثم التأريخية لكردستان وشعبها، بعد ذلك تعمق في الجوانب العرقية و الإجتماعية والإقتصادية.

(٧) العهد المادي = عهد امبراطورية ميديا. ويعتبر الميديون أجداداً للكرد.

(٨) القفقسي = القفقاسي.

(٩) كانت لهذه الأقوام التي تسمى الآن بالكرد لغة للكتابة وحروفاً خاصة قبل الإسلام، قريبة من الحروف الآرامية، كما يقول الباحثون الذين يقولون أيضاً ان كتاب (الآفستا) للنبي زردشت كان مكتوباً بتلك الحروف. وبالتالي فإنهم يعيدون أصول اللغة الكردية الحالية (بلهجاتها) إلى اللغة المتداولة في الآفِستا. بل ويشير باحثون روس وألمان وايرانيون وغيرهم إلى ان جذور لغة الآفِستا باقية في اللغة الكردية

الحالية ومعها عدة لغات أخرى ذات أصول آرية. أنظر كتاب آفستا المترجم الى اللغة العربية والمعدّ من قبل د. خليل عبدالرحمن وزملائه، دار الحياة، دمشق، تشرين الأول ٢٠٠٧.

(١٠) البرثيين= يقصد بهم البارثيين أو البارتيين، ويتفق معظم الباحثين والمؤرخين مع ماذهب اليه د. أديب معوض.

(١١) أول أمارة كردية قامت في العهد العربي الاسلامي هي حكومة أو امارة (آل جستان) الكردية في أواخر القرن الثاني للهجرة حتى أوائل القرن الرابع، ومركزها ناحية ديلم جنوب قزوين. أنظر: بابا مردوخ روحاني، كتاب: تأريخ مشاهير الكرد بالفارسية، نشر سروش، طهران ١٣٧١هـ.

(١٢) سنه = مدينة كردية هي عاصمة إقليم كردستان - ايران، وتطلق عليها الإدارة الإيرانية أسم (سنندج)، وهي من كبريات المدن الكردية، والمعروفة بالثقافة والفن ودورها السياسي البارز.

(١٣) ساو وشيلاخ = يقصد بها ساوجبلاغ المعروف حالياً باسم (مهاباد) ذات المركز الثقافي والسياسي التأريخي حيث كانت أعوام ١٩٤٥ -١٩٤٧ عاصمة لأهم حركة ديمقراطية كردية في القرن العشرين وتحولت الى عاصمة لأول جمهورية كردستانية برئاسة الشهيد القاضي محمد.

(١٤) راديو الشرق = أسسه الحلفاء (خاصة بريطانيا) أثناء الحرب العالمية الثانية، عمل فيه الشاعر عبدالله كوران والأديب رمزي القزاز وغيرهما من المثقفين الكرد.

(١٥) روجاني = روزا نو (روزا نوي = اليوم الجديد).

(١٦) الدكتور بدرخان = أظن أنه كان يقصد به (ثريا بدرخان)، وهو الذي كانت تربطه بالمؤلف علاقة صداقة وتضامن، كما كتبنا في (تقديم الكتاب).

(١٧) للمرة الأولى يقع نظري على تعبير (الأكراد المسيحيين) ويذكر المؤلف منهم الكلدان والسريان على الاخص، كما يتطرق الى العلاقات بين الآشوريين والأكراد وكيف انهم كانوا معاً الى جانب نوع من (السياسة الكردية) كما يذكر المؤلف، وانهم يتمنون أقامة وطن لهم، مع ما في توجهاتهم من اختلافات. و اما تعبير (الاكراد المسيحيين) فهو، في نظري، صحيح تأريخياً و اجتماعياً. و ربما ظهر يوماً ما مسيحيون يعيشون في كردستان يطلقون على أنفسهم (مسيحيون كرد او كردستانيون) على غرار (المسيحيين العرب و الهنود وغيرهم).

(١٨) الطبقة الممتزجة و الممتزجون = تعبير اجتماعي دقيق يستعمله المؤلف الذي حرص في هذا البحث على استخدام ادق و اوضح المصطلحات و التعابير. الممتزجون هنا، يقصد بهم من جرفته الأيام و امتزج بما حوله اجتماعياً و صار جزء منهم... و قد يستيقظ فيهم الشعور القومي يوماً كما يلمح المؤلف تلميحاً احتمالياً.

(١٩) يتطرق المؤلف الى ذكر اعلام بارزين وشخصيات كردية أجتماعية وثقافية في دمشق آنذاك (١٩٤٥). ويذكر أسماء العشائر الكردية فيها، وكيف أنها، رغم الأمتزاج الطويل، قد يعود معظم أبنائها الى (الكردية) فيما لو حصل الكرد على الأستقلال و أنشاء دولة كردية.

(٢٠) الهاوار = يقصد بها مجلة (هاوار) التي تحتل موقعها مهماً في تأريخ الصحافة الكردية.

(٢١) كرداغ = هي التسمية التركية لمصطلح (جبل الأكراد)، وهي من مقطعين: كرد + داغ.

(٢٢) جگەر خوين، هو الشاعر الكردي المعروف، الذي تحدث عنه المؤلف بما يكفينا مدحاً وأعتزازاً به. ويبدو ان النسخة التي اعدنا طبعها من هذا الكتاب هي نفسها التي أهداها جگەر خوين الى عائلة أنيس سنة ١٩٤٥.

(٢٣) أوائل القرن العاشر للمسيح ظهر الشاعر الكردي بابا طاهر الهمداني (الملقب بالعريان) الذي يعتبر شعره أول نص أدبي كردي مكتوب أو مُدَون في التأريخ. توفي الشاعر سنة ١٠١٠ كما تذكر البحوث عنه.

(٢٤) الأسماء الصحيحة لهؤلاء الشعراء، حسب الترتيب الوارد في هذا الكتاب، هي: ملا الجزيري، أحمدي خاني، سياپوش، ولا أدري من يقصد بـ(آغا يوك). وبقية الأسماء في هذه الصفحة كالتالي: عبدالقادري كويى هو حاجي قادر كويى. و (احمده) هو (أحمدي خاني)، وترموكي، كذلك (مولوي) وهو مولوي تاوەكوزي، المتصوف المعروف.

(٢٥) اليزيدية (الأيزدية)، تكلم عنهم المؤلف بانصاف ودقة تعبيراً عن مدى اطلاعه الأجتماعي الواسع على أحوال هذه الطائفة الكردية الأصلية. ولا حاجة الى أيضاح المزيد عن ما أوضحه المؤلف من وقائع تأريخية وأجتماعية وتراثية للأيزديين (اليزيديين).

(٢٦) زورواستر = يقصد به الدين الزرادشتي الذي جاء به النبي زرادشت حوالي ٥٥٠ – ٦٠٠ قبل الميلاد، يسميه المؤلف: خير الأديان وأرقاها واوسعها أنتشاراً قبل الاسلام.

ويذكر (وهذا ما اقرأه للمرة الأولى) بأن هياكل «النار المقدسة» للديانة الزردشتية كانت تحرسها «فئة من الكرد منتقاة يقومون بخفارتها اثناء الليل واطراف النهار...».
ويعد المؤلف جذور الايزدية الى ديانة زردشت، ويقول عنهم: «ان هذه الطائفة قد تكون هي التي، دون سائر أخوانهم من الكرد المسلمين، تنكشف اليوم لأعين التأريخ عن وجه الكردية الصحيح...» الخ!

(٢٧) لم يعد المسلمون أعداء لهم، بل أصبحت الديانة الأيزدية معترفاً بها رسمياً، ينص على ذلك الدستور العراقي منذ سنة ٢٠٠٦. وسينص على ذلك أيضاً دستور إقليم كردستان. واصبح للأيزديين، حسب القانون، ممثلاً في مجلس النواب العراقي وبرلمان كردستان والحكومة الفدرالية وحكومة الاقليم، ففي الاقليم يتمتع الايزديون بحقوق تعليمية لتدريس شؤون ديانتهم بلهجتهم الخاصة التي هي لهجة كردية أصيلة ترفد اللغة الكردية.

(٢٨) هذا المثلث ربما قد أصبح أكثر أهمية وذلك بعد وضع مشروع (نابوكو) لنقل الغاز الطبيعي من آذربيجان، عبر هذا المثلث، إلى أوروبا. وهو مشروع دولي ذات تأثير عميق أقتصادياً وسياسياً.

(٢٩) الزورواسترية = الزردشتية.

(٣٠) آل صعب (الصعبيون)، حسب ماذكره بابا مردوخ روحاني في كتابه عن تاريخ مشاهير الكرد بالفارسية ان آل صعب يعودون الى امير صعب من أمراء كردراس نحاش، نقلهم السلطان سليم الثاني (العثماني) الى جبل لبنان سنة ٩٧٨ للهجرة وحكموا في المنطقة ويظهر انهم من اصل اقليم كردستان تركيا الحالي.

(٣١) معلومة جديدة ... ان يكون أول مؤلف عربي كتب في علم الصرف والنحو الكردي هو يوسف باشا الخالدي من القدس. والمعلومات توضح أيضاً وجود عوائل كردية في القدس منذ عهد صلاح الدين الايوبي قبل ثمانية قرون.

(٣٢) هذه (الفذلكة) الموجزة التي هي بمثابة أستنتاجات للبحث، تتضمن الآراء السديدة للمؤلف حول المستقبل وماكان يقترحه سنة ١٩٤٥ على الشعوب والحكومات العربية للتضامن مع الكرد وكسب ثقتهم. (أنظر قراءتنا لذلك في كلمة التقديم التي مهدنا بها لنشر نص هذا البحث).

مما يستحق الاهتمام حقاً هو أن د. أديب معوض، المفكر العربي اللبناني، يعرض بموضوعية علمية واقع الكرد وكردستان ويدافع بحرارة عن عدالة هذه القضية وذلك في سنة ١٩٤٥، في حين أن الفكر العربي السائد آنذاك كان ينكر صراحة أي اعتراف بوجود الأقليات المذهبية أو القومية في البلدان العربية فقد كانت سياسة "عصبة العمل القومي" التي تأسست سنة ١٩٣٣ إثر اجتماع سري لعروبيين من مختلف البلدان العربية عقدوا مؤتمرهم في "قرنايل – لبنان" وأصدروا يوم ٢٩آب ١٩٣٣ البيان الأول الذي اعتبر "الأقليات ذريعة المستعمرين" وقال: "حيث أنه لا فرق في الحقوق والواجبات بين مواطن ومواطن أياً كان مذهبه أو عقيدته أو لغته فإننا ننكر ولا نعترف بوجود الأقليات المذهبية أو العنصرية أو اللغوية وليس لسكان البلاد العربية غير جنسية واحدة هي الجنسية العربية ولغة رسمية واحدة هي اللغة العربية وكل إخلال بهذه الوحدة جريمة وخيانة تجب محاربتها".

فلك الدين كاكه يي

مطبعة



اربيل - كوردستان
Aras Press
Kurdistan - Erbil